


# الدرر البهية

على

## العقائد الدينية

تأليف العلامة

**عبدالرحمن بن ناصر السعدي**

شرح وتعليق

**د. محمد بن سرّار اليامي**



# الدرر البهية

على

العقائد الدينية




الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١ م






الكويت- الجهراء- القيصرية القديمة

كابيتول مول- السرداب محل ٢٤

الموقع الإلكتروني: www .daradahriah .com

البريد الإلكتروني: daradahriah@gmail .com

هاتف: +965 99627333 - +965 51155398

## الموزعون المعتمدون

الكويت: دار أندلسية للنشر والتوزيع - 94747176 (+965) - darandalusia@hotmail.com

الكويت: مركز طروس للنشر والتوزيع - 90090146 (+965) - torousq8@gmail.com

الرياض: دار التدمرية للنشر والتوزيع - 114925192 (+966) - tadmoria@hotmail.com

المدينة المنورة: مكتبة الميمنة المدنية - 558343947 (+966) - daralmimna@gmail.com

جدة: مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع - 504395716 (+966) - hassan_hyge@hotmail.com

مكة المكرمة: المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع - 125273037 (+966) - alasadi2000@hotmail.com

مصر الجديدة: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع - 01110117447 (+2) - mofakroun@gmail.com

اسطنبول (منطقة الفاتح): دار الأصالة - 2125118547 (+90) - asalet@asaletyayinlari.com.tr

# الدرر البهية

على

## العقائد الدينية

تأليف العلامة

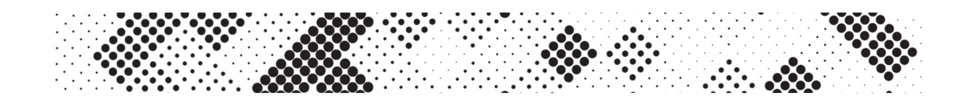
**عبدالرحمن بن ناصر السعدي**

شرح وتعليق

**د. محمد بن سرّار اليامي**

**دار الظاهرية للنشر والتوزيع**

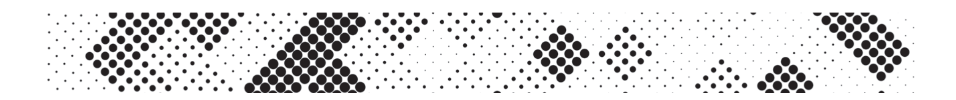

بسم الله الرحمن الرحیم



## إهداء

أهـدي هـذا التعليـق اليسـير والعمـل القليـل، لطـلاب العلـم، الذين أحببتهـم، وأمضينـا مجالـس فـي وسـائل التواصـل نشـرح فيها هـذا المتن الشـريف، ونوشـحه بـكلام لطيف.

جعلـه اللـه فـي ميـزان الصالحـات لي ولكـم ولمـن اقتـرح الدرس، وتابعـه وحضـره، ولمـن أمَّـنَ علـى هـذا الدعاء.



# متن العقائد الدينية

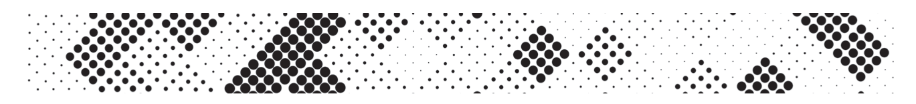
## تأليف
## الشيخ العلامة: عبدالرحمن بن ناصر عبدالله السعدي
## -رحمه الله تعالى-
## (١٣٠٧هـ- ١٣٧٦ هـ)

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا مُخْتَصَرٌ جِدًّا فِي أُصُولِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، وَالْأُصُولِ الْكَبِيرَةِ الْمُهِمَّةِ. اقْتَصَرْنَا فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ الْإِشَارَةِ وَالتَّنْبِيهِ، مِنْ غَيْرِ بَسْطٍ لِلْكَلَامِ وَلَا ذِكْرِ أَدِلَّتِهَا، أَقْرَبُ مَا يَكُونُ لَهَا أَنَّهَا مِنْ نَوْعِ الْفِهْرِسْتِ لِلْمَسَائِلِ؛ لِتُعْرَفَ أُصُولُهَا وَمَقَامَهَا وَمَحَلَّهَا مِنَ الدِّينِ.

ثُمَّ مَنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الْعِلْمِ يَتَطَلَّبُ بَسْطَهَا، وَبَرَاهِينَهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَإِنْ يَسَّرَ اللهُ، وَفَسَحَ فِي الْأَجَلِ، بَسَطتُ هذِهِ الْمَطَالِبَ، وَوَضَّحْتُهَا بِأَدِلَّتِهَا.



# الْأَصْلُ الْأَوَّلُ

## التَّوْحِيدُ

حَدُّ التَّوْحِيدِ الْجَامِعِ لِأَنْوَاعِهِ:

هُوَ اعْتِقَادُ الْعَبْدِ وَإِيمَانُهُ بِتَفَرُّدِ اللهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَإِفْرَادُهُ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.

فَدَخَلَ فِي هذَا:

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي هُوَ: اعْتِقَادُ انْفِرَادِ الرَّبِّ بِالْخَلْقِ والرِّزْقِ، وَأَنْوَاعِ التَّدْبِيرِ.

وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ وَهُوَ: إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ الْعُلْيَا، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

وَتَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ: إِفْرَادُه وَحْدَهُ بِأَجْنَاسِ الْعِبَادَةِ وَأَنْوَاعِهَا، وَإِفْرَادُهَا مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكٍ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، مَعَ اعْتِقَادِ كَمَالِ أُلُوهِيَّتِهِ.

فَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ إِثْبَاتُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ،

وَمَا سِـوَاهُ فَقِيـرٌ إِلَيْهِ مِـنْ كُلِّ وَجْهٍ.

وَدَخَـلَ فِي تَوْحِيدِ الْأَسْـمَاءِ وَالصِّفَـاتِ، إِثْبَاتُ جَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْـمَاءِ الْحُسْـنَى للهِ تَعَالَى، الْـوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ والسُّـنَّةِ.

وَالْإِيمَانُ بِهَا ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:

إِيمَانٌ بِالْأَسْمَاءِ.

وَإِيمَانٌ بِالصِّفَاتِ.

وَإِيمَانٌ بِأَحْكَامِ صِفَاتِهِ.

كَالْعِلْـمِ بِأَنَّـهُ عَلِيـمٌ ذُو عِلْمٍ، وَيَعْلَـمُ كُلَّ شَـيْءٍ، قَدِيرٌ ذُو قُـدْرَةٍ، وَيَقْدِرُ عَلَـى كُلِّ شـيْءٍ، إِلَـى آخِرِ مَا لَـهُ مِنَ الْأَسْـمَاءِ الْمُقَدَّسَـةِ.

وَدَخَـلَ فِـي ذَلِـكَ إِثْبَـاتُ عُلُـوِّهِ عَلَـى خَلْقِـهِ، وَاسْـتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِـهِ، وَنُزُولِـهِ كُلَّ لَيْلَـةٍ إِلَـى سَـمَاءِ الدُّنْيَـا عَلَـى الوَجْـهِ اللَّائِـقِ بِجَلَالِـهِ وَعَظَمَتِـهِ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ:

إِثْبَـاتُ الصِّفَـاتِ الذَّاتِيَّـةِ الَّتِـي لَا يَنْفَـكُّ عَنْهَـا: كَالسَّـمْعِ، والْبَصَـرِ، وَالْعِلْـمِ، والْعُلُـوِّ، وَنَحْوِهـا.

والصِّفَـاتُ الْفِعْلِيَّـةُ، وَهِـيَ: الصِّفَـاتُ الْمُتَعَلِّقَـةُ بِمَشِـيئَتِهِ وَقُدْرَتِـهِ، كَالْـكَلَامِ، وَالْخَلْـقِ، والـرِّزْقِ، والرَّحْمَةِ، والْاسْـتِوَاءِ عَلَى الْعَـرْشِ، وَالنُّزُولِ إِلَـى السَّـمَاءِ الدُّنْيَـا، كَمَا يَشَـاءُ.

وَأَنَّ جَمِيعَهَـا تُثْبَـتُ للهِ مِنْ غَيْـرِ تَمْثِيـلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَأَنَّهَـا كُلَّهَا قَائِمَةٌ،

بِذَاتِـهِ، وَهُـوَ مَوْصُـوفٌ بِهَـا، وَأَنَّـهُ تَعَالَـى لَـمْ يَـزَلْ وَلَا يَـزَالُ يَقُـولُ وَيَفْعَلُ، وَأَنَّـهُ فَعَّـالٌ لِمَـا يُرِيدُن يَتَكَلَّمُ بِمَا شَـاءَ إِذَا شَـاءَ، كَيْفَ شَـاءَ، لَمْ يَـزَلْ بِالْكَلَامِ مَوْصُوفًـا وَبِالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَـانِ مَعْرُوفًا.

وَدَخَـلَ فِـي ذَلِـكَ الْإِيمَـانُ بِـأَنَّ الْقُـرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَـزَّلٌ غَيْـرُ مَخْلُوقٍ، مِنْـهُ بَـدَأَ، وإِلَيْهِ يَعُـودُ، وَأَنَّـهُ الْمُتَكَلِّمُ بِـهِ حَقًّا، وَأَنَّ كَلَامَـهُ لَا يَنْفَـدُ، وَلَا يَبِيدُ.

وَدَخَـلَ فِـي ذَلِـكَ الْإِيمَـانُ بِأَنَّـهُ قَرِيـبٌ مُجِيـبٌ، وَأَنَّـهُ مَـعَ ذَلِـكَ عَلِيٌّ أَعْلَـى، وَأَنَّـهُ لَا مُنَافَـاةَ بَيْـنَ كَمَالِ عُلُـوِّهِ وَكَمَالِ قُرْبِـهِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَـيءٌ فِـي جَمِيـعِ نُعُوتِـهِ وَصِفَاتِهِ.

وَلَا يَتِـمُّ تَوْحِيـدُ الْأَسْـمَاءِ وَالصِّفَـاتِ حَتَّـى يُؤْمِـنَ بِـكُلِّ مَـا جَـاءَ بِـهِ الْكِتَـابُ وَالسُّـنَّةُ، مِـنَ الأَسْـمَاءِ والصِّفَـاتِ وَالْأَفْعَـالِ وَأَحْكَامِهـا عَلَى وَجْهٍ يَلِيـقُ بِعَظَمَـةِ الْبَارِي. وَيَعْلَـمَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّـهُ لا يُمَاثِلُـهُ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ، فَـلا يُمَاثِلُهُ أَحَـدٌ فِـي صِفَاتِهِ.

وَمَـنْ ظَـنَّ أَنَّ فِـي بَعْـضِ الْعَقْلِيَّاتِ مَـا يُوجِـبُ تَأْوِيلَ بَعْـضِ الصِّفَاتِ عَلَـى غَيْـرِ مَعْنَاهَا الْمَعْـرُوفِ، فَقَـدْ ضَلَّ ضَـلَالًا مُبِينًا.

وَلَا يَتِـمُّ تَوْحِيـدُ الرُّبُوبِيَّـةِ حَتَّـى يَعْتَقِدَ الْعَبْـدُ أَنَّ أَفْعَـالَ الْعِبَـادِ مَخْلُوقَةٌ للـهِ، وَأَنَّ مَشِـيئَتَهُمْ تَابِعَـةٌ لِمَشِـيئَةِ اللـهِ، وَأَنَّ لَهُـمْ أَفْعـالًا وَإِرَادَةً تَقَـعُ بِهَـا أَفْعَالُهُـمْ، وَهِـيَ مُتَعَلَّـقُ الْأَمْـرِ والنَّهْـيِ.

وَأَنَّـهُ لَا يَتَنَافَـى الأَمْـرَانِ: إِثْبَـاتُ مَشِـيئَةِ اللـهِ الْعَامَّـةِ الشَّـامِلَةِ للذَّوَاتِ

والْأَفْعَالِ والصِّفَاتِ، وإِثْبَاتُ قُدْرَةِ الْعَبْدِ عَلَى أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ.

وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ حَتَّى يُخْلِصَ الْعَبْدُ للهِ -تَعَالَى- فِي إِرَادَتِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَحَتَّى يَدَعَ الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ، الْمُنَافِي للتَّوْحِيدِ كُلَّ الْمُنَافَاةِ، وَهُوَ: أَنْ يَصْرِفَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى.

وَكَمَالُ ذَلِكَ أَنْ يَدَعَ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ، وَهُوَ: كُلُّ وَسِيلَةٍ قَرِيبَةٍ يَتَوَسَّلُ بِهَا إِلَى الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ كَالْحَلْفِ بِغَيْرِ اللهِ، وَيَسِيرِ الرِّيَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

والنَّاسُ فِي التَّوْحِيدِ عَلَى دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ بَحَسْبِ مَا قَمُوا بِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَالْقِيَامِ بِعُبُودِيَّتِهِ، فَأَكْمَلُهُمْ فِي هذَا الْبَابِ، مَنْ عَرَفَ مِنْ تَفَاصِيلِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَآلَائِهِ، وَمَعَانِيهَا الثَّابِتَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَفَهِمَهَا فَهْمًا صَحِيحًا، فَامْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَتَعْظِيمِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابِ جَمِيعِ دَوَاعِي قَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَوَقَعَتْ جَمِيعُ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ فِي كَمَالِ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ التَّامِ، الَّذِي لَا يَشُوبُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَغْرَاضِ الْفَاسِدَةِ، فَاطْمأَنَّ إِلَى اللهِ تَعَالَى مَعْرِفَةً، وَإِنَابَةً، وَفِعْلًا، وَتَرْكًا، وَتَكْمِيلًا لِنَفْسِهِ، وَتَكْمِيلًا لِغَيْرِهِ، بِالدَّعْوَةِ إِلَى هذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ، فَنَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ.



## الْأَصْلُ الثَّانِي

## الإِيمَانُ بِنُبُوَّةِ جَمِيعِ الأَنبِيَاءِ عُمُومًا، وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُصُوصًا

وَهذَا الْأَصْلُ: مَبْنَاهُ عَلَى أَنْ يَعْتَقِدَ وَيُؤْمِنَ: بِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ اخْتَصَّهُمُ اللهُ بِوَحْيِهِ وَإِرْسَالِهِ، وَجَعَلَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي تَبْلِيغِ شَرْعِهِ وَدِينِهِ. وَأَنَّ اللهَ أَيَّدَهُمْ بِالْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ، وَصِحَّةِ مَا جَاؤُوا بِهِ.

وَأَنَّهُمْ أَكْمَلُ الْخَلْقِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَأَصْدَقُهُمْ وَأَبَرُّهُمْ، وَأَكْمَلُهُمْ أَخْلَاقًا وَأَعْمَالًا، وَأَنَّ اللهَ خَصَّهُمْ بِخَصَائِصَ وَفَضَائِلَ لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ. وَأَنَّ اللهَ بَرَّأَهُمْ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ.

وَأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ فِيمَا يُبَلِّغُونَ عَنِ اللهِ تَعَالَى. وَأَنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ فِي خَبَرِهِمْ وَتَبْلِيغِهِمْ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّوَابُ. وَأَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِمْ، وَبِكُلِّ مَا أُوتُوهُ مِنَ اللهِ، وَمَحَبَّتُهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ.

وَأَنَّ هذِهِ الْأُمُورَ ثَابِتَةٌ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ.

وَأَنَّهُ يَجِبُ مَعْرِفَةُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا،

وَالْإِيمَـانُ بِذَلِـكَ، وَالْتِـزَامُ طَاعَتِـهِ فِـي كُلِّ شَـيْءٍ، بَتَصْدِيـقِ خَبَـرِهِ، وَامْتِثَالِ أَمْـرِهِ، وَاجْتِنَـابِ نَهْيِهِ.

وَمِـنْ ذَلِـكَ أَنَّـهُ خَاتِـمُ النَّبِيِّيـنَ، قَـدْ نَسَـخَتْ شَـرِيعَتُهُ جَمِيعَ الشَّـرَائِعِ، وَأَنَّ نُبُوَّتَـهُ وَشَـرِيعَتَهُ بَاقِيَـةٌ إِلَـى قِيَامِ السَّـاعَةِ، فَلَا نَبِـيَّ بَعْدَهُ، وَلَا شَـرِيعَةَ غَيْرُ شَـرِيعَتِهِ فِي أُصُـولِ الدِّيـنِ وَفُرُوعِهِ.

وَيَدْخُـلُ فِـي الْإِيمَـانِ بالرُّسُـلِ: الْإِيمَـانُ بِالْكُتُـبِ، فَالْإِيمَـانُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ يَقْتَضِي الْإِيمَـانَ بِكُلِّ مَا جَـاءَ بِهِ مِن الْكِتَابِ وَالسُّـنَّةِ أَلْفَاظِهَـا وَمَعَانِيهَا.

فَـلَا يَتِـمُّ الْإِيمَـانُ بِـهِ إِلَّا بِذَلِـكَ، وَكُلُّ مَـنْ كَانَ أَعْظَـمَ عِلْمًـا بِذَلِـكَ وَتَصْدِيقًـا وَاعْتِرَافًـا وَعَمَـلًا؛ كَانَ أَكْمَـلَ إِيمانًـا.

والْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ والْقَدَرِ دَاخِلٌ فِي هذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ.

وَمِـنْ تَمَـامِ الْإِيمَـانِ بِـهِ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَـا جَاءَ بِهِ حَـقٌّ، لَا يُمْكِـنُ أَنْ يَقُومَ دَلِيـلٌ عَقْلِـيٌّ أَوْ حِسِّـيٌّ عَلَـى خِلَافِـهِ. كَمَا لَا يَقُـومُ دَلِيـلٌ نَقْلِيٌّ عَلَـى خِلَافِهِ، فالْأُمُـورُ الْعَقْلِيَّـةُ أَو الْحِسِّـيَّةُ النَّافِعَةُ، تَجِـدُ دِلَالَةَ الْكِتَـابِ وَالسُّـنَّةِ مُثْبِتَةً لَهَا، حَاثَّةً عَلَـى تَعَلُّمِهَـا وَعَمَلِهَا.

وَغَيْـرُ النَّافِـعِ مِنَ الْمَذْكُـورَاتِ لَيْـس فِيهَا مَا يَنْفِـي وُجُودَهَـا، وَإِنْ كَانَ الدَّلِيـلُ الشَّـرْعِيُّ يَنْهَـى وَيَذُمُّ الْأُمُـورَ الضَّارَّةِ مِنْهَـا. وَيَدْخُلُ فِـي الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُـولُ، بَلْ وَسَـائِرُ الرُّسُـلِ.



# الْأَصْلُ الثَّالِثُ

## الإِيمَانُ بِاليَوْمِ الآخِرِ

فَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ مِن الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، كَأَحْوَالِ الْبَرْزَخِ، وَأَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْحِسَابِ، والثَّوَابِ، والْعِقَابِ، والشَّفَاعَةِ، والْمِيزَانِ، والصُّحُفِ الْمَأْخُوذَةِ بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ، والصِّرَاطِ، وَأَحْوَالِ الْجَنَّةِ والنَّارِ، وَأَحْوَالِ أَهْلِهِمَا، وَأَنْوَاعِ مَا أَعَدَّ الله فِيهِمَا لِأَهْلِهِمَا إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا. فَكُلُّ بِذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.



# الْأَصْلُ الرَّابِعُ

## مَسْأَلَةُ الإِيمَانِ

فَأَهْـلُ السُّـنَّةِ يَعْتَقِـدُونَ مَـا جَـاءَ بِـهِ الْكِتَـابُ وَالسُّـنَّةُ، مِـنْ أَنَّ الْإِيمَانَ هُـوَ: تَصْدِيـقُ الْقَلْـبِ الْمُتَضَمِّـنُ لِأَعْمَـالِ الْجَـوَارِحِ.

فَيَقُولُـونَ: الْإِيمَـانُ اعْتِقَادَاتُ الْقُلُـوبِ، وَأَعْمَالُهَا، وَأَعْمَـالُ الْجَوَارِحِ، وَأَقْـوَالُ اللِّسَـانِ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا مِـنَ الْإِيمَانِ.

وَأَنَّ مَـنْ أَكْمَلَهَـا ظَاهِـرًا وَبَاطِنًـا؛ فَقَـدْ أَكْمَـلَ الْإِيمَـانَ، وَمَـن انْتَقَـصَ شَـيْئًا مِنْهَـا؛ فَقَـدِ انْتَقَـصَ مِـنْ إِيمَانِهِ.

وَهـذِهِ الْأُمُـورُ: بِضْـعٌ وَسَـبْعُونَ شُـعْبَةً، أَعْلَاهَـا قَـوْلُ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَـا إِمَاطَـةُ الْأَذَى عَـنِ الطَّرِيـقِ، وَالْحَيَـاءُ شُـعْبَةٌ مِـنَ الإِيمَانِ.

وَيُرَتِّبُـونَ عَلَـى هـذَا الْأَصْلِ أَنَّ النَّـاسَ فِي الإِيمَـانِ دَرَجَـاتٌ: مُقَرَبُونَ وَأَصْحَـابُ يَمِيْـنٍ وَظَالِمُوْنَ

لأَنْفُسِـهِمْ بِحَسْـبِ مَقَامَاتِهِـمْ مِنَ الدِّيـنِ والإِيمَـانِ وَأَنَّهُ يَزِيْـدُ وَيَنْقُصُ فَمَـنْ فَعَـلَ مُحَرَّمًـا أَوْ تَـرَكَ وَاجِبًـا نَقَـصَ إِيمَانُـهُ الوَاجِـبُ مَـا لَـمْ يَتُـبْ إِلَى اللهِ.

وَيُرَتِّبُونَ عَلَى هذَا الْأَصْلِ أَنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

مِنْهُمْ مَنْ قَامَ بِحُقُوقِ الْإِيمَانِ كُلِّهَا، فَهُوَ الْمُؤْمِنُ حَقًّا.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهَا كُلَّهَا، فَهذَا كَافِرٌ باللهِ تَعَالَى.

وَمِنْهُـمْ مَنْ فِيـهِ إِيمَانٌ وَكُفْـرٌ، أَوْ إِيمَانٌ وَنِفَـاقٌ، أَوْ خَيْرٌ وَشَـرٌ، فَفِيهِ مِنْ وِلَايَـةِ اللـهِ وَاسْـتِحْقَاقِهِ لِكَرَامَتِـهِ، بِحَسَـبِ مَـا مَعَـهُ مِـنَ الْإِيمَـانِ، وَفِيـهِ مِنْ عَـدَاوَةِ اللـهِ وَاسْـتِحْقَاقِهِ لِعُقُوبَـةِ اللهِ، بِحَسَـبِ مَـا ضَيَّعَهُ مِـنَ الْإِيمَانِ.

وَيُرَتِّبُـونَ عَلَـى هـذَا الْأَصْـلِ الْعَظِيـم، أَنَّ كَبَائِـرَ الذُّنُـوبِ وَصَغَائِرَهَـا الَّتِـي لَا تَصِـلُ بِصَاحِبِهَـا إِلَى الْكُفْـرِ، تُنْقِصُ إِيمَـانَ الْعَبْدِ مِنْ غَيْـرِ أَنْ تُخْرِجَهُ مِـنْ دائِـرَةِ الْإِسْـلَامِ، وَلَا يَخْلُـدُ فِي نَـارِ جَهَنَّمَ.

وَلَا يُطْلِقُـونَ عَلَيْـهِ الْكُفْرَ كَمَـا تَقُولُهُ الْخَـوَارِجُ، أَوْ يُنْفُونَ عَنْـهُ الْإِيمَانَ كَمَا تَقُولُـهُ الْمُعْتَزِلَةُ:

بَـلْ يَقُولُـونَ: هُوَ مُؤْمِـنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِـقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَمَعَهُ مُطْلَـقُ الْإِيمَانِ، وَأَمَّـا الْإِيمَانُ الْمُطْلَـقُ فَيُنْفَى عَنْهُ.

وَبِهـذِهِ الْأُصُـولِ يَحْصُـلُ الْإِيمَـانُ بِجَمِيعِ نُصُـوصِ الْكِتَابِ وَالسُّـنَّةِ، وَيَتَرَتَّـبُ عَلَـى هـذَا الْأَصْلِ:

أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ.

وَأَنَّ التَّوْبَةَ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا.

وَأَنَّ مَنِ ارْتَدَّ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ.

وَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ.

وَيُرَتِّبُـونَ أَيْضًا عَلَـى هذَا الْأَصْلِ صِحّةَ الاسْـتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَـانِ، فَيَصِحُّ أَنْ يَقُـولَ: أَنَـا مُؤْمِنٌ إِنْ شَـاءَ اللـهُ، لِأَنَّهُ يَرْجُـو مِنَ اللـهِ تَعَالَى تَكْمِيـلَ إِيمَانِهِ فَيَسْـتَثْنِيَ لِذَلِـكَ، وَيَرْجُـو الثَّبَاتَ عَلَـى ذَلِكَ إِلَـى الْمَمَاتِ فَيَسْـتَثْنِي، مِنْ غَيْرِ شَـكٍّ مِنْهُ بِحُصُولِ أَصْـلِ الْإِيمَانِ.

وَيُرَتِّبُـونَ أَيْضًـا عَلَى هـذَا الْأَصْلِ أَنَّ الحُـبَّ والْبُغْضَ أَصْلُـه وَمِقْدَارُه، تَابـعٌ لِلْإِيمَانِ وجُـودًا وَعدَمًا، وَتَكْميـلًا وَنقْصًا.

ثُـمَّ يَتْبَـعُ ذَلِـكَ الْولَايَـةُ وَالْعَـدَاوَةُ، وَلِهَذَا مِـنَ الْإِيمَانِ: الْحُـبُّ فِي اللهِ والْبُغْـضُ فِي اللـهِ، والْوِلَايَـةُ للهِ والْعَـدَاوَةُ للهِ.

وَيَتَرَتَّبُ عَلَى الْإِيمَانِ وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِأَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.

وَيَتَرَتَّـبُ عَلَـى ذَلِـكَ أَيْضًـا مَحَبَّـةُ اجْتِمَـاعِ الْمُؤْمِنِيـنَ، وَالْحَـثُّ عَلَـى التَّآلُـفِ والتَّحَابُـبِ، وَعَـدَمِ التَّقَاطُـعِ.

ويَبْـرَأُ أَهْـلُ السُّـنَّةِ وَالْجَمَاعَـةِ مِـنَ التَّعَصُّبَـاتِ وَالتَّفَـرُّقِ وَالتَّبَاغُـضِ. وَيَـرَوْنَ هـذِهِ الْقَاعِـدَةَ مِـنْ أَهَـمِّ قَوَاعِـدِ الْإِيمَـانِ، وَلَا يَـرَوْنَ الاخْتِـلَافَ فِي الْمَسَـائِلِ الَّتِـي لَا تُوصِـلُ إِلَـى كُفْـرٍ أَوْ بِدْعَـةٍ مُوجِبَـةً لِلتَّفَـرُّقِ.

وَيَتَرَتَّـبُ عَلَـى الْإِيمَـانِ مَحَبَّةُ أَصْحَـابِ النَّبِيِّ صَلَّـى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، بِحَسَـبِ مَرَاتِبِهِـمْ، وَأَنَّ لَهُـمْ مِـنَ الْفَضْلِ والسَّـوَابِقِ وَالْمَنَاقِبِ مَـا فَضَلُوا فِيهِ سَـائِرَ الْأُمَّةِ.

وَيَدِينُـونَ بِمَحَبَّتِهِـمْ وَنَشْـرِ فَضَائِلِهِـمْ، وَيُمْسِـكُونَ عَمَّـا شَـجَرَ بَيْنَهُمْ،

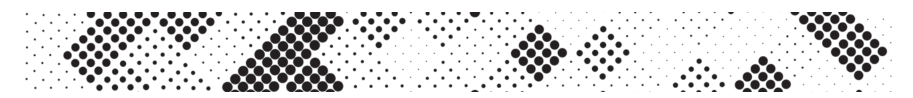
وَأَنَّهُـمْ أَوْلَـى الْأُمَّةِ بِـكُلِّ خَصْلَةٍ حَمِيـدَةٍ، وَأَسْـبَقُهُمْ إِلَى كُلِّ خَيْـرٍ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْ كُلِّ شَـرٍّ.

وَيَعْتَقِـدُونَ أَنَّ الْأُمَّـةَ لَا تَسْـتَغْنِي عَـنْ إِمَـامٍ يُقِيـمُ لَهَـا دِينَهَـا وَدُنْيَاهَـا، وَيَدْفَـعُ عَنْهَـا عَادِيَـةَ الْمُعْتَدِيـنَ، وَلَا تَتِـمُّ إِمَامَتُـهُ إِلَّا بِطَاعَتِـهِ فِي غَيْـرِ مَعْصِيَةِ اللـهِ تَعَالَى.

وَيَـرَوْنَ أَنَّـهُ لَا يَتِـمُّ الْإِيمَـانُ إِلَّا بِالْأَمْرِ بِالْمَعْـرُوفِ والنَّهْي عَـنِ الْمُنْكَرِ بِالْيَـدِ، وَإِلَّا بِاللِّسَـانِ، وَإِلَّا فَبِالْقَلْـبِ عَلَـى حَسَـبِ مَرَاتِبِـهِ الشَّـرْعِيَّةِ، وَطُرُقِهِ الْمَرْعِيَّةِ.

وَبِالْجُمْلَـةِ، فَيَـرَوْنَ الْقِيَامَ بِكُلِّ الْأُصُولِ الشَّـرْعِيَّةِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّـرْعِيِّ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَـانِ وَالدِّينِ.

وَمِنْ تَمَامِ هذَا الْأَصْلِ طَرِيقُهُم في العِلْمِ والعَمَلِ.



# الْأَصْلُ الْخَامِسُ

## طَرِيقُهُمْ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ

وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، يَعْتَقِدُونَ وَيَلْتَزِمُونَ أَنْ لَا طَرِيقَ إِلَى اللهِ وَإِلَى كَرَامَتِهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَالْعِلْمُ النَّافِعُ هُوَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ مِنْ كِتَابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَجْتَهِدُونَ فِي مَعْرِفَةِ مَعَانِيهَا وَالتَّفَقُّهِ فِيهَا، أُصُولًا وَفُرُوعًا.

وَيَسْلُكُونَ جَمِيعَ طُرُقِ الدِّلَالَاتِ فِيهَا، دِلَالَةِ الْمُطَابَقَةِ، وَدِلَالَةِ التَّضمُّنِ، وَدِلَالَةِ الالْتِزَام.

وَيَبْذُلُونَ قُوَاهُمْ فِي إِدْرَاكِ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ هذِهِ هِيَ الْعُلُومُ النَّافِعَةُ، هِيَ وَمَا تَفَرَّعَ عَلَيْهَا مِنْ أَقْيِسَةٍ صَحِيحَةٍ وَمُنَاسَبَاتٍ حُكْمِيَّةٍ.

وَكُلُّ عِلْمٍ أَعَانَ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ وَازَرَهُ أَوْ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ عِلْمٌ شَرْعِيٌّ. كَمَا أَنَّ مَا ضَادَّهُ وَنَاقَضَهُ فَهُوَ عِلْمٌ بَاطِلٌ. فَهذَا طَرِيقُهُمْ فِي الْعِلْمِ.

وَأَمَّا طَرِيقُهُمْ فِي الْعَمَلِ، فَإِنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالتَّصْدِيقِ وَالاعْتِرَافِ التَّامِ بِعَقَائِدِ الإِيمَانِ، الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْعِبَادَاتِ وَأَسَاسُهَا، ثُمَّ

يَتَقَرَّبُـونَ لـه بِـأَدَاءِ فَرَائِـضِ اللـهِ الْمُتَعَلِّقَـةِ بِحَقِّـهِ وَحُقُوقِ عِبَـادِهِ مَـعَ الْإِكْثَارِ مِـنَ النَّوَافِـلِ، وَبِتَـرْكِ الْمُحَرَّمَـاتِ وَالْمَنْهِيَّـاتِ تَعَبُّدًا للـهِ تَعَالَى.

وَيَعْلَمُـونَ أَنَّ اللـه تَعَالَى لَا يَقْبَـلُ إِلَّا كُلَّ عَمَلٍ خَالِـصٍ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، مَسْـلُوكًا فِيـهِ طَرِيـقَ النَّبِيِّ الكَرِيـمِ، وَيَسْـتَعِينُونَ باللـهِ تَعَالَى فِي سُـلُوكِ هذِهِ الطُّرُقِ النَّافِعَـةِ، الَّتِـي هِـيَ الْعِلْمُ النَّافِـعُ وَالْعَمَـلُ الصَّالِحُ الْمُوصِـلُ إِلَى كُلِّ خَيْـرٍ وَفَلَاحٍ وَسَـعَادَةٍ عَاجِلَـةٍ وآجِلَةٍ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّـى اللـهُ وَسَـلَّمَ عَلَـى مُحَمَّدٍ وعَلَـى آلِـهِ وَصَحْبِهِ وَسَـلَّمَ تَسْـلِيمًا كَثِيرًا.

**٥ رمضان ١٣٥٧هـ**



## (المتن)

الْحَمْـدُ للـهِ رَبِّ الْعَالَمِيـنَ، وَصَلَّـى اللـهُ وَسَـلَّمَ عَلَـى مُحَمَّـدٍ، وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ وَأَتْبَاعِـهِ إِلَـى يَـوْمِ الدِّيـنِ.

أَمَّا بَعْدُ:

## (التعليق والشرح)

الحمـد للـه، لا مانع لما أعطـاه، ولا راد لما قضاه، الحمـد لله وحده، والصـلاة والسـلام على مـن لا نبـي بعده، صلـى الله وسـلم وبـارك عليه، وعلـى آله وأصحابـه ومن والاه؛ أمـا بعد:-



## (المتن)

فَهـذَا مُخْتَصَـرٌ جِـدًّا فِـي أُصُـولِ الْعَقَائِـدِ الدِّينِيَّـةِ، وَالْأُصُـولِ الْكَبِيرَةِ الْمُهِمَّـةِ. اقْتَصَرْنَـا فِيهَا عَلَـى مُجَرَّدِ الْإِشَـارَةِ وَالتَّنْبِيـهِ، مِنْ غَيْرِ بَسْـطٍ لِلْكَلَامِ وَلَا ذِكْـرِ أَدِلَّتِهَـا، أَقْـرَبُ مَـا يَكُـونُ لَهَـا أَنَّهَـا مِنْ نَـوْعِ الْفِهْرِسْـتِ لِلْمَسَـائِلِ؛ لِتُعْـرَفَ أُصُولُهَـا وَمَقَامَهَـا وَمَحَلَّهَـا مِـنَ الدِّينِ.

ثُـمَّ مَـنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِـي الْعِلْمِ يَتَطَلَّبُ بَسْـطَهَا، وَبَرَاهِينَهَا مِـنْ أَمَاكِنِهَا، وَإِنْ يَسَّـرَ اللهُ، وَفَسَـحَ فِي الْأَجَلِ، بَسَـطتُ هذِهِ الْمَطَالِبَ، وَوَضَّحْتُهَـا بِأَدِلَّتِهَا.

## (التعليق والشرح)

العقائـد الدينيـة: العقيـدة لغـةً: مصـدر مـن اعتقـد يعتقـد اعتقـادًا وعقيـدة، مأخـوذ مـن العقـد، وهـو: الربـط والشـدُّ بقـوة وإحـكام، ونحـو ذلـك ممـا فيه توثق وجـزم، ولـذا يطلق العقـد على البيـع والعهـد والنكاح واليميـن ونحوهمـا مـن المواثيـق العقـود؛ لارتبـاط كل مـن الطرفيـن بهذا العقـد عرفًـا وشـرعًا[١]، إلـى غير ذلـك مما يجب الوفـاء به، قـال جل وعز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائـدة: ١].

والعقيـدة فـي الاصطلاح: هـي الإيمان الـذي لا يحتمـل النقيض[٢]،

(١) ينظر: العين (١/ ١٤٠)، مختار الصحاح (ص: ٢١٤)، المصباح المنير (٢/ ٤٢١).
(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان (ص: ١٣).

ويلاحظ اقتراب أو تطابق المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة العقيدة.

صحة العقيدة أو فسادها: عقيدة المرء هي إيمانه الجازم الذي ينعقد عليه قلبه، ويحكم به ذهنه ويتخذه مذهبًا ودينًا يدين به، بغض النظر عن صحتها وفسادها، ولهذا يفرق بين العقائد، فيقال: هذه عقيدة صحيحة، نظرًا لقيام الحجة والبرهان على صحتها: كاعتقاد المؤمنين بتفرد الله تعالى فيما يختص به ويجب له، واعتقادهم بطلان تسوية غيره به في شيء من خصائصه وحقوقه.

وما خالف الحق فهو اعتقاد باطل لقيام الدليل على بطلانه: كاعتقاد ضلّال النصارى أن الله تعالى هو المسيح ابن مريم، أو أنه ثالث ثلاثة، واعتقاد المشركين أن أصنامهم وأوثانهم آلهة مع الله، ونحو ذلك من الملل المحرّفة والعقائد الباطلة التي لا يحصيها إلا الله جل وعز.

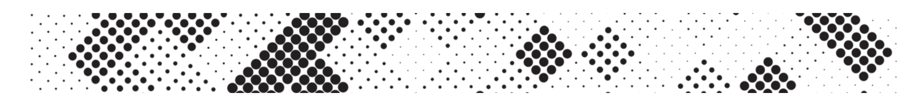
**العقيدة الإسلامية الصحيحة**: العقيدة الإسلامية التي دلت عليها أصول الإسلام الكتاب والسُنّة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم هي العقيدة الصحيحية.

وهي: الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة: من الأخبار والغيوب والأحكام القدرية والشرعية والجزائية، وسائر ما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله بذلك كله، والعمل له تعالى

بمقتضاه، والطاعة للنبي ﷺ والاتباع له.

فهي: تصديقٌ بالغيب، وتوحيدٌ وتنزيه للرب، وعبادةٌ لله بما شرع، اليقين بلقائه ﷻ وجزائه.

**ما يدخل في العقيدة الإسلامية:** تشمل العقيدة الإسلامية وجوب توحيد الله تعالى فيما يجب له، وتنزيهه عما لا يليق به، والقيام بأركان الإسلام وحقائق الإيمان والإحسان، والتصديق بالنبوات، والكتب، وأحوال البرزخ، والآخرة، وسائر أمور الغيب، وتحقيق الولاء والبراء، والقيام بالواجب نحو السلف الصالح وسائر أهل الإسلام، والموقف الشرعي من سائر أهل الملل والبدع ونحوهم من المخالفين.



(المتن)

# الْأَصْلُ الْأَوَّلُ

# التَّوْحِيدُ

حَدُّ التَّوْحِيدِ الْجَامِعِ لِأَنْوَاعِهِ:

هُوَ اعْتِقَادُ الْعَبْدِ وَإِيمَانُهُ بِتَفَرُّدِ اللهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَإِفْرَادُهُ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.

## (التعليق والشرح)

تعريف الحد:

لغةً: المنع، ومنه الحدود؛ لأنها تمنع من العودة إلى المعاصي، ومنه إحداد المرأة في عدتها؛ لأنها تمنع من الطيب والزينة، وسمي التعريف حدًّا؛ لمنعه الداخل من الخروج، والخارج من الدخول[١].

اصطلاحًا: هو الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره[٢].

أو هو اللفظ المفسِّر لمعناه على وجه يجمع ويمنع[٣].

(١) ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٩٥)، تهذيب اللغة (٣/ ٢٧١)، الصحاح تاج اللغة (٢/ ٤٦٢)، مقاييس اللغة (٢/ ٣)، لسان العرب (٣/ ١٤٠)، المصباح المنير (١/ ١٢٤).

(٢) مختصر التحرير (١/ ٨٩).

(٣) المستصفى (ص: ١٨)، روضة الناظر (١/ ٦٦)، شرح تنقيح الفصول (ص: ٤).

ويسمى عند بعضهم بـ«القول الشارح» أو «التعريف»، فإذا قيل: حد علم التوحيد، فإنه يراد به تعريف ذلك العلم الذي يحيط بمعناه وبجميع قضاياه، ويمنع من التباس غيرها بها، بعبارة ظاهرة بعيدة عن الألغاز، من غير اشتراك لفظي أو مجاز. والأصل في الحد أنه يورث التمييز بين المحدود وغيره، أما تصوير المحدود وتعريف حقيقته على وجه التمام فهذا قد لا يتيسر في كل حدٍّ ولا يتحقق في كل محدود.

التوحيد في اللغة: مصدر وحَّد يوحِّد توحيدًا: أفرد الشيء، أي: جعله واحدًا[(١)]، وَحَدَ تدور حول انفراد الشيء بذاته أو صفاته أو أفعاله، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه[(٢)].

أما في الاصطلاح: للتوحيد اصطلاحًا إطلاق عام وذلك باعتباره فعلًا من أفعال القلوب، وآخر خاص باعتباره عَلَمًا على علْم معَّين، وعلى هذا فالتوحيد بالمعنى المصدري العام هو: إفراد الله بالعبادة، مع الجزم بانفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته، فلا نظير له، ولا مثيل له في ذلك كله[(٣)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «هو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا رب لشيء من الممكنات سواه»[(٤)].

---

(١) ينظر: القاموس المحيط (ص: ٣٢٤)، تاج العروس (٩/ ٢٦٦)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٠٩).

(٢) ينظر: العين (٣/ ٢٨١)، الصحاح تاج اللغة (٢/ ٥٤٧)، مجمل اللغة (ص: ٩١٨).

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٤٤).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٢٤٦).

فالتوحيد أخص أمور العقيدة؛ لأنه يتعلق بإثبات ما يجب لله ﷻ، ونفي ما لا يليق به ﷻ، والقيام بحقه وفق شرعه ابتغاء وجهه، والبراءة مما خالف ذلك.



## (المتن)

فَدَخَلَ فِي هذَا:

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي هُوَ: اعْتِقَادُ انْفِرَادِ الرَّبِّ بِالْخَلْقِ والرِّزْقِ، وَأَنْوَاعِ التَّدْبِيرِ.

وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ وَهُوَ: إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ الْعُلْيَا، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

وَتَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ: إِفْرَادُه وَحْدَهُ بِأَجْنَاسِ الْعِبَادَةِ وَأَنْوَاعِهَا، وَإِفْرَادُهَا مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكٍ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، مَعَ اعْتِقَادِ كَمَالِ أُلُوهِيَّتِهِ.

## (التعليق والشرح)

فالله ﷻ:

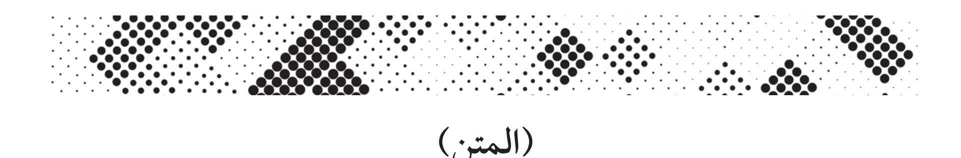
١. واحدٌ في ربوبيته وخلقه وملكه وتدبيره، فلا شريك له.

٢. واحدٌ في أسمائه وصفاته وأفعاله، فلا سمي له، ولا مثل له.

٣. واحدٌ في إلهيته وعبادته فلا ند له.

الله تعالى أعلم بنفسه وأحسن حديثًا وأصدق قليلًا من خلقه

وأراد البيان والهدى لعباده والرسول ﷺ أعلم الخلق بربه وهو أنصح الخلق وأفصحهم وقد كلفه الله تعالى ببيان ما أنزل إليه من ربه، فلا يسمى الله تعالى ولا يوصف إلا بما سمى ووصف به نفسه في كتابه وفيما صح من سنة رسوله ﷺ فلا يتجاوز القرآن والحديث.



## (المتن)

فَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ إِثْبَاتُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَمَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

## (التعليق والشرح)

الإيمان بالله ﷻ متفرد بالخلق والملك والتدبير مطلقًا، فلا شريك له في ذلك، ولا مدبر معه، ولا معقب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه، قال ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فمن أسس اعتقادنا أننا نؤمن بالله تعالى ربًا خالقًا مالكًا مدبرًا للملك، بمقتضى علمه وحكمته وقدرته ومشيئته فلا رب غيره، ولا خالق سواه، وهو المتفرد بتدبير الملك، وعلم الغيب، وجلب النفع ودفع الضر.

فلا شريك له في الملك، والتدبير كما أنه لا شريك له في الخلق والتصوير؛ فهو وحده المتفرد بأفعال الربوبية ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وهذا التوحيد مستقر في فِطَر عامة البشر، فهم مُقرُّون لله تعالى

به، قال ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

فلم يجحد هذا التوحيد إلا مكابر معاند، قد تظاهر بجحوده مع استقراره في نفسه، كما قال ﷻ عن آل فرعون: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، فمن أنكره فهو مقر به باطنًا، وإنما تظاهر بإنكاره تكبرًا وعنادًا.

وقد أكثر الله ﷻ من ذكر هذا التوحيد في القُرآن مقرًا لأهل الشرك به ومطالبًا لهم بمقتضاه، وهو وجوب اعتقاد تفرده بالإلهية وعبادته وحده، فإن المتفرد بالخلق والرزق والتدبير هو الإله الحق الذي يجب أن يُفرد بالعبادة، ويخلص له الدين والذي ربى جميع الخلق بالنعم.

وَدَخَـلَ فِي تَوْحِيدِ الْأَسْـمَاءِ وَالصِّفَـاتِ، إِثْبَاتُ جَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْـمَاءِ الْحُسْـنَى للهِ تَعَالَى، الْـوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ والسُّـنَّةِ.

أي: إثبـات مـا أثبتـه اللـه تعالى لنفسـه في كتابـه، وفيما صـحَّ عن نبيه ﷺ مـن الأسـماء الحسـنى والصفـات العُلـى، علـى الوجـه اللائـق بجلال اللـه تعالـى وعظمته، مـن غير تحريـف ولا تعطيـل ولا تكييـف ولا تمثيل، بـل علـى حـد قولـه تعالـى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشـورى:١١]، فأثبـت اللـه تعالـى لنفسـه الأسـماء والصفـات، ونـزَّه نفسـه عـن مماثلـة المخلوقات.



## (المتن)

وَالْإِيمَانُ بِهَا ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:

إِيمَانٌ بِالْأَسْمَاءِ.

وَإِيمَانٌ بِالصِّفَاتِ.

وَإِيمَانٌ بِأَحْكَامِ صِفَاتِهِ.

كَالْعِلْمِ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ ذُو عِلْمٍ، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، قَدِيرٌ ذُو قُدْرَةٍ، وَيَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، إِلَى آخِرِ مَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُقَدَّسَةِ.

## (التعليق والشرح)

الإيمان بجميع الأسماء الحسنى الواردة في الكتاب والسنة وما دلت عليها من الصفات العلى وما ينشأ عنها من الأفعال الحكيمة فالرحمن اسمه تعالى، والرحمة صفته، وإنزال الغيث من آثار ذلك الاسم وتلك الصفة.

فالواجب نحو نصوص الأسماء والصفات:

١- قبول ألفاظها، والإيمان بها، والتسليم لها، واعتقاد ما دلت عليه من المعاني والأحكام.

٢- حملها على ظاهرها وحقيقتها.

٣- تزيه الله ﷻ عن مماثلة الخلق فيها وعن صفات النقص والعيب والبراءة من المطّلة والممثلة.

٤- الثناء على الله ﷻ ودعاؤه بها في كل مقام بما يناسبه، فعند طلب الرزق يسأل الله تعالى بأسماء الغني والجود والكرم، وعند طلب النصر على العدو يسأل الله تعالى بأسماء القوة والقهر والعظمة والعلم، وعند سؤال العفو والمغفرة يسأل الله تعالى بأسماء اللطف والرحمة والحلم والمغفرة والعفو، وهكذا.



## (المتن)

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ إِثْبَاتُ عُلُوِّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَنُزُولِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا عَلَى الوَجْهِ اللَّائِقِ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ:

إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي لَا يَنْفَكُّ عَنْهَا: كَالسَّمْعِ، والْبَصَرِ، وَالْعِلْمِ، والْعُلُوِّ، وَنَحْوِها.

والصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ، وَهِيَ: الصِّفَاتُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، كَالْكَلَامِ، وَالْخَلْقِ، والرِّزْقِ، والرَّحْمَةِ، والْاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، كَمَا يَشَاءُ.

## (التعليق والشرح)

إثبات علوه على خلقه: إثبات علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه فوق جميع مخلوقاته بالكيف الذي يعلمه سبحانه، وقد جاوزت أدلة علو الله تعالى على خلقه من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة ألف دليل كلها شاهده بانحراف المعطلة عن الصراط المستقيم.

إثبات الصفات الذاتية: إثبات الصفات الذاتية المعنوية لله تعالى

مثل الحياة والعلم والقدرة ونحوها على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته وضابطها أنها الملازمة لذات الرب تبارك وتعالى فلا تنفك عنه بحال ويمكن إدراكها بالعقل.

إثبات الصفات الفعلية: إثبات صفات الأفعال أي: الصفات الفعلية الاختيارية وقيام الأفعال بالرب جل وعلا فإنه الفعال لما يريد من تلك الصفات. المحبة والرضا والبغض والكره. وضابط تلك الصفات أنها يعبر عنها بلفظ الفعل، وأنها واقعة بمشيئة الله تعالى عند وجود سببها ومقتضاها فوجودها عند سببها كمال، وانتفاؤها عند تخلف سببها ليس بنقص .

وكذلك إثبات معية الله تعالى لخلقه على ما يليق بعظمته وجلاله وهي نوعان:

١- عامة ومن مقتضاها العلم والإحاطة والقدرة والقهر.

٢- وخاصة من مقتضاها التثبيت والتأييد والكلاءة والنصرة لمن أضيفت إليه.



## (المتن)

وَأَنَّ جَمِيعَهَا تُثْبَتُ للهِ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا قَائِمَةٌ، بِذَاتِهِ، وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِهَا، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ يَقُولُ وَيَفْعَلُ، وَأَنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُن يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ، كَيْفَ شَاءَ، لَمْ يَزَلْ بِالْكَلَامِ مَوْصُوفًا وَبِالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ مَعْرُوفًا.

## (التعليق والشرح)

إثبات جميع أسماء الله تعالى الحسنى، وصفاته العلى وأفعاله الحكيمة، الواردة في الكتاب والسنة والإيمان بها كما جاءت بألفاظها ومعانيها، وحقائقها، من غير تحريف لألفاظها ولا تعطيل لمعانيها ودلالاتها، ولا تمثيل لله تعالى فيها بشيء من صفات المخلوقين، وأن يعتمد في إثباتها على الكتاب والسنة لأنها توقيفية ولا دخل للعقل فيها.

وإثبات الكلام لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته وأنه من الصفات الذاتية باعتبار أصله وأن الله تعالى موصوف به ومن الصفات الفعلية باعتبار آحاده وتجدده ووقوعه بمشية الله وقدرته تعالى أي أنه متكلم بما شاء متى شاء وكيف شاء.

وإثبات الإرادة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنها في

كتـاب اللـه تعالى وسـنة نبيـه ﷺ إرادتان:

الأولى: إرادة كونية (قدرية) وهي مقارنة للقضاء والقدر.

الثانية: إرادة دينية (شرعية) وهي مقارنة للمحبة والبغض.

وبينهمـا فـروق وتجتمعـان فـي طاعـة المطيـع، وتنفـرد الكونيـة فـي معصيـة العاصـي.



## (المتن)

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّهُ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ حَقًّا، وَأَنَّ كَلَامَهُ لَا يَنْفَدُ، وَلَا يَبِيدُ.

## (التعليق والشرح)

فالقرآن كلام الله تكلم به حقيقة وأنه منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

فنؤمن بأن القرآن، نسخ ما قبله من الكتب السماوية، واشتمل على أحسن ما فيها، وزاد عليها، وبرأه الله من الأغلال والآصار، والتكليف بما لا يطاق.

فأغنى به عنها، وأن الله جعله تبيانًا لكل شيء، وهدى للتي هي أقوم، وحفظه من التحريف، والتبديل، وجعله خالدًا إلى آخر الدهر جَلَّ وعَلَا: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وأنه المحفوظ في السطور، والصدور، المبدوء بـ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، والمختوم بـ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦].

والقرآن الكريم هو أعظم كتب الله ﷻ المنزلة على رسله، وأبلغ آياته، وأعظم أسباب هدايته، وآخر الكتب المنزلة على الرسل، ولا

ينـزل بعـده كتـاب ينسـخه، فهـو آيـة الله إلـى آخـر الهداية.

ويتحقق الإيمان بالقرآن بأمور: منها:

١ – أنـه كلام اللـه ﷻ حروفـه ومعانيـه، تكلـم الله بـه حقيقـة، ومنزل غيـر مخلوق.

٢ – تلاوتـه علـى أحسـن وجـه يسـتطاع وتدبـره وفهمـه والعمـل بـه والدعـوة إلـى مـا فيه على هـدى الله وأمـره ﷻ، وكمـا بين نبيـه ﷺ واعتقاد أنـه بيـان اللـه تعالى لعبـاده وهـدى ورحمة.

٣ – اعتقـاد عمـوم دعوتـه وشـمول شـريعته التـي جـاء بهـا لعمـوم الثقليـن، فـلا يسـع أحدًا من الجـن والإنس إلا الإيمـان به، وأن يعبـدوا الله بشـريعته، قال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقـان: ١]، وقـال ﷻ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعـام: ١٩].

٤ – اعتقـاد نسـخه لجميـع الكتب السـابقة، فـلا يجوز لأهـل الكتاب ولا لغيرهـم أن يعبـدوا اللـه بعـد نزولـه بغيـره، فلا ديـن إلا ما جـاء به، ولا شـريعة إلا ما شـرع اللـه فيه، فالحلال مـا أحلّه، والحرام مـا حرّمه، قال ﷺ: «والـذي نفسـي بيده لـو كان أخي موسـى حيًّا مـا وسـعه إلا أن يتبعني»[١].

٥ – سـماحة شـريعته، وبراءتهـا مـن الآصـار والأغـلال التـي كانـت علـى الأمـم الماضيـة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٨٧).

٦- أن القُرآن هو الكتاب التوحيد الذي تكفّل الله بحفظ لفظه ومعناه من التحريف اللفظي والمعنوي، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال ﷻ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

٧- أنه اشتمل على التحدي به، بل هو الآية العظمى الذي أعجز الله بها الجن والإنس عن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، قال ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

٨- أن الله ﷻ بيَّن في القرآن كل ما يحتاج الناس إليه في أمر دينهم ودنياهم، ومعاشهم ومعادهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أنزل في هذا القرآن كل علم، وكل شيء قد بيَّن لنا في القرآن»[1].

٩- أن الله ﷻ يسره للذكر والتدبر وهذا من أعظم خصائصه، فلولا أن الله يسره لم يستطع أحد من البشر أن يتكلم بكلام الله، لكن الله يسّره للذكر والعمل، فيسر جمعه، ويسر قراءته، ويسر تفسيره وبيانه، وأَيْضًا يسره تعالى للتلاوة وفهم المعنى للتفكير والتدبر والاتعاظ، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

١٠- أنه اشتمل على خلاصة ما في الكتب السابقة من الأحكام والآداب والأخلاق، فقد تضمن أصول الملة وقواعد الشريعة وأمهات

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٩).

الأخلاق وجوامع الآداب.

١١- أنه اشتمل على أخبار جملة من الرسل والأمم الماضية، وتفصيل ذلك بشكل لا نظير له في كتاب سابق، قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠]، وقال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩].

١٢- أن القُرآن هو آخر الكتب نزولًا، فهو خاتمها، والشاهد عليها، والحاكم عليها، قال ﷻ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

١٣- أنه أعظم آيات الأنبياء والمرسلين عليهم من ربهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مثله آمنه عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيتُ وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[1].

١٤- أنه الكتاب الذي لا يأتي بعده كتاب ينسخه، فلا تبطل أحكامه، ولا تتبدل شريعته، ولا يترك العمل به حتى يأتي الله بأمره فيرفعه إليه كما بدأ منه.

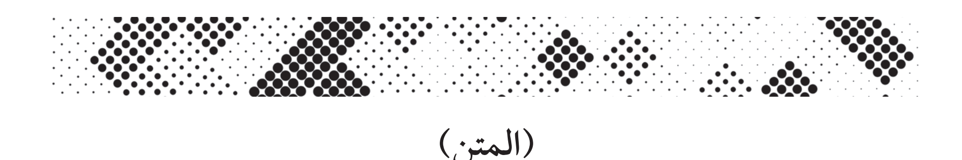
---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٩٨)، ومسلم (٢١٧).

١٥- أن النبي ﷺ قد بيَّن القُرآن بأقواله وأفعاله وتقريراته وأحواله، وإنكاره على من خالف شيئًا من القُرآن بيانًا قامت به الحجة، وحصل به التبليغ، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه.

وعليه فإن شريعة محمد ﷺ ناسخة لجميع الشرائع السابقة، مشتملة على أحسن ما فيها من الأحكام، بريئة من الآصار، والأغلال التي كانت على من كان قبلنا، مصلحة لأحوال الناس إلى آخر الزمان؛ لما فيها من الأحكام العادلة، والرحمة الواسعة الحجة القاطعة.

فأغنى بها عما كان قبلها، فلا خير في الشرائع السابقة إلا وفي شريعتنا ما هو مثله، وأفضل منه، ولا إصر إلا عافانا الله منه؛ فالحمد لله الذي أتقن ما صنع، وأحكم ما شرع ويسر الأحكام وعظم الأجور، وأكثر من مكفرات الآثام.



## (المتن)

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ عَلِيٌّ أَعْلَى، وَأَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ كَمَالِ عُلُوِّهِ وَكَمَالِ قُرْبِهِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ وَصِفَاتِهِ.

## (التعليق والشرح)

من أصول الإيمان: إثبات تفرد الرب جل وعلا بكل صفة كمال وأنه ليس له شريك ولا مثل ولا كفؤ.

فنؤمن بأن الله تعالى متصف بصفات الكمال ونعوت العظمة والجلال، والجمال، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، له المثل الأعلى في السموات والأرض، فلا سمي له ولا مثل من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فذاته تعالى أكمل الذوات، وأسماؤه أحسن الأسماء وصفاته أجلُّ الصفات: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

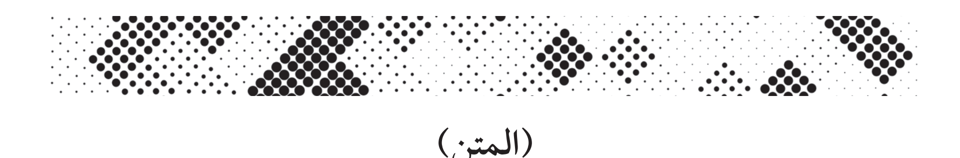
ومن أصول الإيمان الجمع بين الإثبات والنفي في صفات الرب جل وعز، فالإثبات يراد لذاته، والنفي يراد لإثبات كمال ضده.

يأتي النفي في صفات الرب جل وعلا -في الغالب مجملًا- لأنه

أبلغ في الدلالة على التنزيه، ويأتي الإثبات -في الغالب- مفصلًا فإنه أبلغ في الدلالة على تنوع الكمالات.

قد يراد الإجمالي في إثبات صفات الرب جل وعلا ويراد به إثبات الكمال المطلق والحمد المطلق والمجد المطلق ونحو ذلك مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧].

وقد يأتي النفي المجمل مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، وقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٩] وذلك لنفي كل ما يضاد كمال الله المطلق من أنواع العيوب والنقائص.



## (المتن)

وَلَا يَتِـمُّ تَوْحِيـدُ الْأَسْـمَاءِ وَالصِّفَـاتِ حَتَّـى يُؤْمِـنَ بِـكُلِّ مَـا جَـاءَ بِـهِ الْكِتَـابُ وَالسُّـنَّةُ، مِـنَ الَأسْـمَاءِ والصِّفَـاتِ وَالْأَفْعَـالِ وَأَحْكَامِهِـا عَلَى وَجْهٍ يَلِيـقُ بِعَظَمَـةِ الْبَارِي. وَيَعْلَـمَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّـهُ لا يُمَاثِلُـهُ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ، فَـلا يُمَاثِلُهُ أَحَـدٌ فِـي صِفَاتِهِ.

## (التعليق والشرح)

وذلـك يقتضـي إثبـات الصفـات الخبريـة للـه تعالـى علـى مـا يليـق بجلالـه وعظمتـه كالوجـه، والعيـن، واليـد، والإصبـع ونحوها مما مسـماه بالنسـبة لنـا أجـزاء وأبعـاض وإنما قيل عـن هذه الصفـات إنهـا خبرية لأنها إنمـا تتلقـى مـن طريـق الوحي فـلا يمكـن إدراكها بالعقـل وإنمـا تتلقى من طريـق النقـل الثابت.

فاللـه وحـده هـو الخالـق ومـا سـواه مخلـوق، وأنـه هـو الـرازق وما سـواه مـرزوق؛ فالواجـب إفـراد الـرب ﷻ بالكمـال المطلـق مـن جميـع الوجـوه وبـكل اعتبـار، وذلـك بإثبـات مـا أثبته اللـه تعالـى لنفسـه، أو أثبته له رسـوله ﷺ مـن جميع الأسـماء والصفـات ومعانيها وأحكامهـا، وتنزيهه سـبحانه عـن جميع صفـات العيب والنقـص وهو هو مـن خصائص الخلق

تنزيهًا يُراد منه إثبات كمال ضد ذلك في حقه تعالى، قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].



## (المتن)

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ فِي بَعْضِ الْعَقْلِيَّاتِ مَا يُوجِبُ تَأْوِيلَ بَعْضِ الصِّفَاتِ عَلَى غَيْرِ مَعْنَاهَا الْمَعْرُوفِ، فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا.

## (التعليق والشرح)

فلا مساواة بين الخالق والمخلوق قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] فلا يستعمل في حقه سبحانه من الأقيسة إلا قياس الأولى وهو: «كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالله تعالى أولى به، وكل نقص يتنزه عنه المخلوق، فالخالق أحق أن ينزه عنه»[١].

والبراءة من إلحاد الملحدين في أسماء الله وصفاته وآياته المائلين بها عن معانيها وحقائقها إلى أمور باطلة ومنهم:

أ- المشركون الذين اشتقوا لمعبوداتهم أسماء من أسماء الله تعالى أو سموها ببعض أسمائه كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

ب- ضلَّال أهل الكتاب وغيرهم من الأمم الذين سموا الله تعالى بما لا يليق بجلاله وعظمته، كتسمية اليهود والنصارى لله أبًا، وتسمية

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٧٦).

الفلاسفة له موجبًا أو علة فاعلة، وتسمية الدهريين له الطبيعة.

ج- ومن يصف الله سبحانه بما لا يليق بجلاله وعظمته وما يتنزه عنه من النقائص والعيب كقول اليهود -لعنهم الله-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وزعمهم أن الله تعالى تعب من خلق السموات والأرض فاستراح يوم السبت.

د- ومن جحد معانيها وحقائقها، كالجهمية الذين قالوا عن نصوص الأسماء والصفات إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معانٍ فعندهم أن اسم الله السميع لا يدل على سمع، والبصير لا يدل على بصر، والحي لا يدل على حياة.

هـ- من مثل صفات الله تعالى بصفات خلقه كالممثلة الذين قالوا: ما نعقل من الصفات الواردة في القرآن إلا أنها مثل صفاتنا.

و- المفوضة الذين قالوا إنهم لا يعملون معاني نصوص الأسماء والصفات وأنها مما استأثر الله بعلمه.

فيتبرأ أهل الحق من هؤلاء المنحرفين لأن الله جل وعز توعد الملحدين في أسمائه وآياته بأشد الوعيد وتهددهم بأخطر ألوان التهديد فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].



## (المتن)

وَلَا يَتِـمُّ تَوْحِيـدُ الرُّبُوبِيَّـةِ حَتَّـى يَعْتَقِدَ الْعَبْـدُ أَنَّ أَفْعَـالَ الْعِبَـادِ مَخْلُوقَةٌ للـهِ، وَأَنَّ مَشِـيئَتَهُمْ تَابِعَـةٌ لِمَشِـيئَةِ اللـهِ، وَأَنَّ لَهُـمْ أَفْعـالًا وَإِرَادَةً تَقَـعُ بِهَـا أَفْعَالُهُـمْ، وَهِـيَ مُتَعَلَّـقُ الْأَمْـرِ والنَّهْـيِ.

وَأَنَّـهُ لَا يَتَنَافَـى الأَمْـرَانِ: إِثْبَـاتُ مَشِـيئَةِ اللـهِ الْعَامَّـةِ الشَّـامِلَةِ للذَّوَاتِ والْأَفْعَـالِ والصِّفَـاتِ، وإِثْبَـاتُ قُـدْرَةِ الْعَبْـدِ عَلَـى أَفْعَالِـهِ وَأَقْوَالِهِ.

وَلَا يَتِـمُّ تَوْحِيـدُ الْعِبَـادَةِ حَتَّـى يُخْلِـصَ الْعَبْدُ للـهِ -تَعَالَى- فِـي إِرَادَتِهِ وَأَقْوَالِـهِ وَأَفْعَالِهِ، وَحَتَّى يَدَعَ الشِّـرْكَ الْأَكْبَـرَ، الْمُنَافِي للتَّوْحِيـدِ كُلَّ الْمُنَافَاةِ، وَهُـوَ: أَنْ يَصْـرِفَ نَوْعًا مِنْ أَنْـوَاعِ الْعِبَـادَةِ لِغَيْرِ اللـهِ تَعَالَى.

## (التعليق والشرح)

فاللـه تعالى هو الإلـه الحق المسـتحق للعبادة، وحده لا شـريك الله، فـلا تنبغـي العبـادة إلا لـه، ولا يسـتحقها أحدٌ سـواه، فيجـب إفـراده تعالى بجميـع الطاعـات علـى الوجه الـذي شـرع، وأن يطاع نبيـه ﷺ فيهـا ويُتبع، وتـرك الشـرك والبدع.

فنؤمـن بـأن اللـه تعالـى وحده هو الإلـه الحـق المعبود بالحـق، الذي لا تنبغـي العبـادة إلا له، ولا يسـتحقها أحدٌ سـواه.

فلا يُركع ولا يُسجد، ولا يُدعى، ولا يُرجى سواه.

فيجب الإخلاص له وحده في جميع العبادات، والتقرب إليه وحده في جميع الطاعات، وأن لا يشرك معه أحد من الخلق في الأرض أو السموات: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

فمن العبادات: الصلاة، والنحر، والنذر، والدعاء، وسائر العبادات، فلا يستحقها إلا الله وحده، قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].



## (المتن)

وَكَمَالُ ذَلِكَ أَنْ يَدَعَ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ، وَهُوَ: كُلُّ وَسِيلَةٍ قَرِيبَةٍ يَتَوَسَّلُ بِهَا إِلَى الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ كَالْحَلْفِ بِغَيْرِ اللهِ، وَيَسِيرِ الرِّيَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

## (التعليق والشرح)

إن أعظم ما أمر الله به هو التوحيد، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال جل وعز: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وفي حديث معاذ، قال رسول الله: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا»[١]، وفي حديث معاذ الآخر قال: «فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»[٢].

فكان أول الواجبات وأوجب التكليفات، هو إفراد الله تعالى بالتوحيد والبراءة من الشرك، وفي الحديث: «إن العبد أول ما يُسأل في قبره من ربك، وما دينك، وما الرجل الذي بعث فيكم»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، إلا أن حديث السؤال في القبر أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٣٤).

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله: «اعلم أن التوحيد هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ... ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك.. فالتوحيد هو أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب»[١].

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في منظومته:

أول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد

ومما يدل على أنه آخر واجب، حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»[٢]، وفي الصحيح من حديث عثمان: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة»[٣].

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢١).
(٢) أخرجه مسلم (٩١٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦).



## (المتن)

والنَّـاسُ فِـي التَّوْحِيـدِ عَلَـى دَرَجَـاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ بَحَسْـبِ مَا قَمُـوا بِهِ مِنْ مَعْرِفَـةِ اللـهِ، وَالْقِيَـامِ بِعُبُودِيَّتِـهِ، فَأَكْمَلُهُـمْ فِـي هـذَا الْبَـابِ، مَـنْ عَـرَفَ مِنْ تَفَاصِيلِ أَسْـمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِـهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَآلَائِـهِ، وَمَعَانِيهَا الثَّابِتَـةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّـنَّةِ، وَفَهْمِهَـا فَهْمًـا صَحِيحًـا، فَامْتَـلأَ قَلْبُـهُ مِـنْ مَعْرِفَـةِ اللَّـهِ، وَتَعْظِيمِهِ، وَإِجْلَالِـهِ، وَمَحَبَّتِـهِ، وَالْإِنَابَـةِ إِلَيْـهِ، وَانْجِـذَابِ جَمِيـعِ دَوَاعِـي قَلْبِـهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَـى، مُتَوَجِّهًـا إِلَيْـهِ وَحْدَهُ لَا شَـرِيكَ لَهُ.

وَوَقَعَـتْ جَمِيـعُ حَرَكَاتِـهِ وَسَـكَنَاتِهِ فِـي كَمَـالِ الْإِيمَـانِ وَالْإِخْـلَاصِ التَّـامِ، الَّـذِي لَا يَشُـوبُهُ شَـيْءٌ مِـنَ الْأَغْـرَاضِ الْفَاسِـدَةِ، فَاطْمَـأَنَّ إِلَـى اللـهِ تَعَالَـى مَعْرِفَـةً، وَإِنَابَـةً، وَفِعْـلًا، وَتَـرْكًا، وَتكْمِيـلًا لِنَفْسِـهِ، وَتَكْمِيـلًا لِغَيْـرِهِ، بِالدَّعْـوَةِ إِلَى هـذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ، فَنَسْـأَلُ اللهَ مِـنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِـهِ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْنَـا بِذَلِكَ.

## (التعليق والشرح)

إن الإخـلاص هـو حقيقـة الديـن، ومفتاح دعوة رسـل اللـه أجمعين، وهـو روح التوحيـد ولـب الرسـالة، قـال جـل وعـز: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينـة: ٥]، والإخـلاص هـو إفـراد الحق سـبحانه

بالقصـد، وهـو تصفيـة العمـل مـن كل شـوب، وفـي أهميـة الإخـلاص وأعمـال القلـوب يقول ابـن القيم رحمـه الله تعالـى: «أعمـال القلوب هي الأصـل، وأعمـال الجـوارح تبع ومكملـة، وإن النية بمنزلة الـروح، والعمل بمنزلـة الجسـد للأعضـاء، الـذي إذا فـارق الـرواح فمـوات ... فمعرفـة أحـكام القلـوب أهـم مـن معرفة أحـكام الجـوارح»[١].

والإخـلاص يتوقـف فـي حصولـه وكمالـه علـى معرفـة العبـد لربه، وتعظيمـه وتأليهـه، ومعرفة أسـمائه تعالى وصفاتـه، وإحصائهـا والتعبد لله بمقتضاهـا، فمـن كان باللـه أعـرف كان لـه أخلـص، وفيمـا عند اللـه تعالى أرغـب، ومـن عقوبتـه أرهب.

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٨٨).



(المتن)

# الْأَصْلُ الثَّانِي
# الإِيمَانُ بِنُبُوَّةِ جَمِيع الأَنبِيَاءِ عُمُومًا، وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُصُوصًا

وَهـذَا الْأَصْـلُ: مَبْنَـاهُ عَلَـى أَنْ يَعْتَقِـدَ وَيُؤْمِـنَ: بِأَنَّ جَمِيـعَ الْأَنْبِيَـاءِ قَدْ اخْتَصَّهُـمُ اللـهُ بِوَحْيِـهِ وَإِرْسَـالِهِ، وَجَعَلَهُمْ وَسَـائِطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِـهِ فِي تَبْلِيغِ شَـرْعِهِ وَدِينِـهِ. وَأَنَّ اللـهَ أَيَّدَهُـمْ بِالْبَرَاهِيـنِ الدَّالَّةِ عَلَـى صِدْقِهِـمْ، وَصِحَّةِ مَا جَـاؤُوا بِهِ.

وَأَنَّهُـمْ أَكْمَـلُ الْخَلْـقِ عِلْمًـا وَعَمَـلًا، وَأَصْدَقُهُـمْ وَأَبَرُّهُـمْ، وَأَكْمَلُهُـمْ أَخْلَاقًـا وَأَعْمَـالًا، وَأَنَّ اللـهَ خَصَّهُـمْ بَخَصَائِـصَ وَفَضَائِـلَ لَا يَلْحَقُهُـمْ فِيهَـا أَحَـدٌ. وَأَنَّ اللـهَ بَرَّأَهُـمْ مِـنْ كُلِّ خُلُـقٍ رَذِيلٍ.

وَأَنَّهُـمْ مَعْصُومُـونَ فِيمَـا يُبَلِّغُـونَ عَـنِ اللـهِ تَعَالَى. وَأَنَّـهُ لَا يَسْـتَقِرُّ فِي خَبَرِهِـمْ وَتَبْلِيغِهِـمْ إِلَّا الْحَـقُّ وَالصَّوَابُ. وَأَنَّـهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِـمْ، وَبِكُلِّ مَا أُوتُـوهُ مِنَ اللـهِ، وَمَحَبَّتُهُـمْ وَتَعْظِيمُهُمْ.

(التعليق والشرح)

تعريف النبي والرسول:

النبي في اللغة: مشتق من النبأ، وهو الخبر، قال ﷻ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١، ٢].

وإنما سُمي النبي نبيًا لأنه منبأ، أي: مُخْبَر من الله ﷿ أي: يُوحي الله إليه نبأ من شرعه، قال ﷿: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]، وهو أيضًا: مُخبِر عن الله ﷿ بما يوحيه الله إليه من أمره وشرعه، قال ﷿: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر:٤٩][(١)].

وقيل: النبي مشتق من النَّبْوَة، وهي: المكان المرتفع من الأرض، فإن العرب تطلق لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يُهتدى بها[(٢)].

والربط بين لفظ النبي والمعنى اللغوي واضح، وذلك لأن النبي ذو رفعة عند الله ﷻ في الدنيا والآخرة، وذو شرف وسؤدد في قومه، وهو مُنبّأٌ من الله تعالى بأمره الديني الشرعي الذي يهتدي به العباد ويسعدوا في دنياهم وأخراهم.

والنبي اصطلاحًا: هو الذي ينبئه الله تعالى، أي: يوحي إليه أن يعمل بشريعة من قبله، ويبعثه الله إلى قوم مؤمنين بشريعة سابقة، ليبطل ما ابتدعوه، ويصحح ما أخطئوا فيه، ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، ويكون قدوة لهم في اتباع الرسول السابق، فهو يحكم بشريعة من

---

(١) ينظر: العين (٨/ ٣٨٢)، تهذيب اللغة (١٥/ ٣٥٠)، الصحاح تاج اللغة (١/ ٧٤).
(٢) ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٣٤٩)، لسان العرب (١٥/ ٣٠٢).

قبلـه، وقـد يُوحـي إليـه وحي خـاص فـي واقعة معينـة[١].

فالأنبيـاء يأتيهـم وحـي مـن اللـه تعالـى فيمـا يفعلونـه ويأمـرون بـه المؤمنيـن بهـم، لكـن لا ينـزل عليهـم كتـاب ولا يرسـلون إلـى قـوم كفـار مخالفيـن لأمـر الله ليبلغوهم رسـالة مـن الله إليهـم، إنما يُرسـلون إلى قوم موافقيـن مخطئيـن فـي بعـض الأمور.

الرسـول فـي اللغـة: مأخـوذ مـن البعـث وهـو الإرسـال والتوجيـه، فالرسـول هـو المبعـوث الموجـه برسـالة، قال ﷻ عـن ملكة سـبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمـل: ٣٥].

فالرسـل -عليهـم الصـلاة والسـلام- إنما سُـموا رُسـلًا لأنهـم بُعثوا مـن قبـل الله ﷻ برسـالة حملوها وأمـروا بتبليغهـا للناس، قـال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَـا فِـي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُـولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّـهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُـوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقـال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنـون: ٤٤]، أي: بعثناهـم يتبع بعضهم بعضًا[٢].

وأمـا الرسـول فـي الاصطـلاح: فهو الـذي ينبئه اللـه بوحيه الشـرعي ثـم يوجهـه إلـى مـن خالف أمـره، أو علـى قوم لـم يأتهـم نذير مـن قبله[٣].

**الفـرق بيـن النبـي والرسـول:** دلَّ التتبُّـع والاسـتقراء لأحـوال النبيين

(١) ينظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٦٨٨)، البيان لأركان الإيمان للشيخ عبد الله القصير.
(٢) ينظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٧٢)، مقاييس اللغة (٢/ ٣٩٢)، الكليات (ص: ٧٧).
(٣) ينظر: معجم مقاليد العلوم (ص: ٤٧)، معجم لغة الفقهاء (ص: ٤٧٤).

والمرسـلين -عليهم من ربهـم أفضل الصلاة وأزكى التسـليم- والنصوص الـواردة بشـأنهم على اشـتراك النبيين والمرسـلين فـي أمور:

١- الوحـي: قـال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

٢- جنـس الإرسـال: قـال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحـج: ٥٢].

٣- أن الأنبيـاء -وكذلـك بعـض الرسـل- لا ينـزل عليهم كتـاب؛ بل يحكمون بكتاب سـابق، قـال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ [المائدة:٤٤].

ولكـن دلـت نصـوص أخـرى علـى وجـود فـرق بيـن المرسـلين والنبييـن:

أ- فقـد دل قولـه ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ علـى المغايـرة بيـن النبييـن والمرسـلين؛ لأن العطـف فـي اللغة يـدل على المغايـرة، أي أن الـذي بعـد الـواو مغايـر للـذي قبلهـا.

ب- وكذلـك أن اللـه ﷻ وصف بعـض أنبيائه بالقوة فقـط في مواضع أخـرى، كمـا قـال ﷻ عـن موسـى: ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريـم: ٥١]، وقال عن إدريـس: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٦].

ج- ومـن الفـرق بين الرسـل والأنبيـاء -عليهم الصلاة والسـلام- ما

يلي :

١ – أن النبي يُوحى إليه –غالبًا– بشرع سابق، والرسول –غالبًا– يُوحى إليه بشرع جديد.

٢ – أن النبي يُرسل على قوم مؤمنين برسالة سابقة، والرسول يُرسل على قوم لم تبلغهم رسالة من قبله، أو بلغتهم، ولكن كفروا فخالفوا أمر الله ﷻ، ومما يوضح ذلك أن إسحاق وإسماعيل عليهما السلام وهما أخوان من ذرية إبراهيم عليه السلام، لكن إسحاق خَلَف أباه إبراهيم في مقر إقامته بالشام فصار نبيًا لأتباع إبراهيم وفي رسالته، وإسماعيل أرسل إلى «جُرْهُم» الذي لم تبلغهم رسالة إبراهيم قبله.

٣– أن الرسول أفضل من النبي بالإجماع، لتميّزه بالرسالة المطلقة التي هي أفضل من النبوة، فإن النبوة رسالة مقيدة.

فاشتركا جميعًا في أن كل منهما منبأ بشرع من الله ﷻ، ومرسل إلى قومه، لكن النبي بُعث إلى قوم لم تبلغهم رسالة، أو بلغتهم وكفروا بها، فمهمة الرسول أعظم وأكبر من مهمة النبي، ولذا كان الرسل أفضل من الأنبياء، وفي كلٍّ فضل، عليهم الصلاة والسلام، والله أعلم.

وجوب الإيمان بالرسل: الإيمان بالرُسل واجب من واجبات الدين الحتمية، وركن عظيم من أركان الإيمان، وأصل من أصوله المنصوص عليها من القُرآن والسُّنّة، والتي لا يتحقق الإيمان إلا بها، قال ﷻ:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فذكر سبحانه أن الإيمان بالرُسل من جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، وجعل سبحانه الإيمان بالرُسل برًا وصدقًا وتقوى، فقال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وصحّ عن النبي ﷺ قوله: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»[1].

فجعل الإيمان بالمرسلين من أركان الدين، ورتب ﷻ على ذلك الأجر والمغفرة والرحمة، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٢].

فنؤمن برسل الله الذين أرسلهم إلى أُممهم، من لدن آدم، ونوح إلى عهد محمد بن عبد الله «مبشرين ومنذرين، ودعاة إلى الله»، وشهداء على الأمم، وأئمة لها في تحقيق عبادة الله ﷻ، وترك معصيته، وقد فضل الله ﷻ بعضهم على بعض، فاختص محمدًا ﷺ بخصائص ليست لغيره؛ كختم النبوة به، وعموم الرسالة، والشفاعة العظمى، والمقام المحمود، واستفتاح باب الجنة.

خطر تكذيب أحد من الرسل: جعل الله سبحانه تكذيب واحد

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

من المُرسلين ضلالًا وتفريقًا بينهم، وتكذيبًا بهم جميعًا، وكفرًا بالله تعالى محققًا، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

كيف يتحق الإيمان بالأنبياء والمرسلين: الإيمان بالأنبياء والمرسلين -عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم- هو الاعتقاد الجازم بنبوتهم ورسالتهم وما جاءت به النصوص بشأنهم.

١- اعتقاد أن الله ﷻ اصطفاهم واجتباهم على علم ليكونوا سفراء بينه وبين عباده في تبليغ رسالاته، قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

٢- اعتقاد صدقهم، وتصديق الله تعالى لهم فيما جاءوا به من عنده، وأنهم ما قالوا عليه إلا الحق.

٣- الإيمان بأنهم أشرف الأمم أنسابًا، وأطيبهم أعراقًا، وأزكاهم نفوسًا، وأكرمهم أخلاقًا، وأعظمهم شرفًا وسؤددًا.

٤- أنهم بلّغوا رسالاتهم إلى أُممهم، ولم يكتموا منها شيئًا، ونصحوا لمن أرسلوا إليهم، وبيّنوا ما أرسلوا به بيانًا شافيًا، قامت به

عليهم الحجة، واتضحت به المحجة، وزالت به المعذرة، ووجب على الأمم العمل به.

٥- اعتقاد عصمتهم عن الخطأ فيما بلغوا عن ربهم من الدين، وكذلك ما أرشدوا به أُممهم من أمر الدنيا جازمين، وكذلك اعتقاد عصمتهم من كبائر الذنوب، وأما الصغائر فقد تقع منهم، لكنهم لا يقرهم الله عليها؛ بل ينبهون بشأنها ويوفقون للمبادرة إلى التوبة منها، بفضل الله ومنته.

٦- اعتقاد فضلهم، وتفضيل الله ﷻ بضهم على بعض على نحو ما جاءت به الآيات والأحاديث الصحيحة، قال ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٧- اعتقاد أنهم أكمل الخلق علمًا وعملًا، وأبرّهم وأرحمهم، وأن الله برأهم من كل عيب خِلْقِي وكل خُلُق رذيل.

٨- وجوب الاهتداء بهديهم على أممهم، وكمال التأسّي بهم، وطاعتهم، واتباع من أرسل إلينا منهم وهو النبي محمد ﷺ.

الإيمان بالرسل:

أي الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى قد اصطفى رسلًا من الناس يبلغون رسالته يعرفون عباده به ويدعون أممهم إليه ويعلمونهم كيفية

عبادته والقيام بحقه، ويبشرونهم وينذرونهم بذكر الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة منهم من قص الله نبأه ومنهم من لم يقصص عنه شيئًا ومنهم من سماه الله ومنهم من لم يسمه، وأنهم كلهم قد دعوا أممهم إلى عبادة الله تعالى وحده وأمروهم باجتناب الطاغوت، بعثهم الله مبشرين ومنذرين وشهداء على الناس وأئمة لهم وحكامًا بينهم فيما اختلفوا فيه ووكل إليهم بيان ما أنزل إليهم وأوجب على من أرسلوا إليهم اتباعهم وحسن التأسي بهم وحذرهم من الإعراض عما جاءوا به وعن مخالفتهم ومشاقتهم واختارهم الله تعالى على علم فبعثهم في أكرم الناس أنسابًا وأحسنهم أعراقًا وأخلاقًا واختصهم بفضائل وأيدهم بأنواع الآيات وفضل بعضهم على بعض، وفضل أولوا العزم على جملتهم وفضل الخليلين على بقية أولو العزم.

الإيمان بالأنبياء يكون من الحيثيات التالية:

ما يلزمهم ويجب عليهم من صدق وأمانة وبلاغ ونصح لأممهم ونحو ذلك. قال ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩].

ما يجوز في حقهم من أكل ونكاح ونحو ذلك مما يعرض للبشر. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا

وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [إبراهيم: ١١].

ما يستحيل في حقهم من الكذب والخيانة والكفر والكبائر والموبقات قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

ما يجب لهم على أتباعهم من الحب والطاعة والاتباع والتعظيم. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦].

من أدلة صدق الرسل -عليهم الصلاة والسلام-: نؤمن برسل الله الذين أرسلهم إلى أُممهم، من لدن آدم، ونوح إلى عهد محمد بن عبد الله ﷺ مبشرين، ومنذرين، ودعاة إلى الله ﷻ، وشهداء على الأمم، وأئمة لها في تحقيق عبادة الله ﷻ، وترك معصيته، وقد فضل الله ﷻ بعضهم على بعض، فاختص محمدًا ﷺ بخصائص ليست لغيره؛ كختم النبوة به، وعموم الرسالة، والشفاعة العظمى، والمقام المحمود، واستفتاح باب الجنة.

واتخذ الله إبراهيم خليلًا، وكلم الله موسى تكليمًا، وخلق عيسى بكلمته وخصه بخصائص ليست لغيره ممن كان قبله.

وإن هناك أولي عزم من الرسل هم: نوح، وإبراهيم، وعيسى،

وموسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليه.

فهؤلاء السادة الكرام أولو العزم من الرسل.

ثم للمرسلين والنبيين سواهم خصائص وفضائل، لكنها دون أولي العزم من الرسل، وكل ذلك دليل على فضلهم عليهم الصلاة والسلام، وعلو مقامهم عند الملك القدوس السلام، وأن الله اصطفاهم على علم واجتباهم وغفر لهم من ذنوبهم ما تأخر وما تقدم كما قال ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أفضل الأمم، اجتباهم الله لرسالاته؛ والرسل أفضل الأنبياء، وأولو العزم منهم أفضل المرسلين، وأفضل أولو العزم الخليلان، وأفضلهما محمد بن عبد الله ﷺ المخصوص بالقرآن.

ومن الإيمان برسل الله -عليهم الصلاة والسلام-: اعتقاد أنهم صادقون فيما جاءوا به من ربهم، مصدوقون فيما أوحي إليهم، مصدقون من الله ﷻ على صدق دعوتهم، ولذلك دلائل كثيرة عرفها العقلاء من قومهم وممن جاء من بعدهم، ومن ذلك:

١- شهادة الله ﷻ لهم بالصدق والصديقية، وكفى بالله شهيدًا: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، ووصف سبحانه عددًا من رسله بالصديقية بقول: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾

[مريم: ٤١]، أي: كامل التصديق فيما جاءه من ربه، والصدق في دعوته لقومه.

٢- تأييد الله لهم على دعواهم الرسالة بالحجج الشرعية والآيات الكونية، كالكتب المنزلة عليهم، والآيات التي جاءوا بها، مثل سفينة نوح ﷺ، ومثل تحدي هود ﷺ وهو واحد لقومه وهم جماعة كثير متجبرون شديدةٌ خِلقَتهم وقوتهم، فلم يبالي بهم ولم يصبه منهم أذى، وكذلك عصا موسى ﷺ التي كانت آية بينه، لها شأن ومواقف عظيمة مع السحرة، وفي ضرب البحر فانفتح اثني عشر طريقًا، وضرب بها الحجر فانفجر اثنتي عشرة عينًا، وكذلك ما جاء به عيسى ﷺ من الآيات العظيمة، حيث كان يبرئ الأصم والأخرس والأعمى والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله تعالى إلى غير ذلك، وكذلك انشقاق القمر لمحمد ﷺ، والقُرآن العظيم الذي جاء به محمد ﷺ، وهو أعظم آيات الأنبياء والمرسلين التي تحدَّوا بها أُممهم، وظهر به صدق نبوتهم.

٣- ما أخذ الله به المكذبين للرسل -عليهم الصلاة والسلام- من ألوان العقوبات التي جعلتهم للمعتبرين من أبلغ العظات.

٤- أنهم أحسن الناس طريقة، وأصدقهم لهجة، وأكثرهم وقارًا، وأبعدهم عن الطيش، وأزهدهم في المال والجاه، وأصبرهم على البلايا والشدائد، وأعدلهم حكمًا، فما جاروا في حكم على عدو، ولا شهدوا بغير الحق لصديق.

٥- معاداتهم لقراباتهم وأرحامهم المخالفين لهم من أجل ربهم، فآثروا الحق على الخلق، فتركوا مناهج الآباء وما عليه العشرة فوقعوا من أجل ذلك في المخوف، وصبروا على الحتوف.

٦- إجماع مواليهم وعقلاء أعدائهم على أن الرسل والأنبياء عليهم السلام كانوا أعقل الناس، وأوقر الخلق، حتى اعترف عقلاء الكفار بحسن تدبيرهم وسدادهم، وأنهم جاءوا بشرائع حكمية استمالوا بها خلائق ودانت لهم بها عوالم.

٧- تحقق أغراضهم وأهدافهم بالنصر والعواقب الحسنة، فإن الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وهكذا لهم أحسن العواقب وأكرم الجزاء في الآخرة، قال جل وعلا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال جل وعلا في حق نبيه ﷺ: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٤، ٥].



## (المتن)

وَأَنَّ هـذِه الْأُمُـورَ ثَابِتَـةٌ لِنَبِيِّنَـا مُحَمَّـدٍ صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ عَلَـى أَكْمَـلِ الْوُجُـوهِ.

وَأَنَّـهُ يَجِـبُ مَعْرِفَـةُ جَمِيـعِ مَـا جَـاءَ بِـهِ مِـنَ الشَّـرْعِ جُمْلَـةً وَتَفْصِيلًا، وَالْإِيمَـانُ بِذَلِـكَ، وَالْتِـزَامُ طَاعَتِـهِ فِـي كُلِّ شَـيْءٍ، بَتَصْدِيـقِ خَبَـرِهِ، وَامْتِثَالِ أَمْـرِهِ، وَاجْتِنَـابِ نَهْيِهِ.

وَمِـنْ ذَلِـكَ أَنَّـهُ خَاتِـمُ النَّبِيِّـينَ، قَـدْ نَسَـخَتْ شَـرِيعَتُهُ جَمِيعَ الشَّـرَائِعِ، وَأَنَّ نُبُوَّتَـهُ وَشَـرِيعَتَهُ بَاقِيَـةٌ إِلَـى قِيَامِ السَّـاعَةِ، فَلَا نَبِـيَّ بَعْدَهُ، وَلَا شَـرِيعَةَ غَيْرُ شَـرِيعَتِهِ فِي أُصُـولِ الدِّيـنِ وَفُرُوعِهِ.

## (التعليق والشرح)

وختمهـم بأفضلهـم وسـيدهم وإمامهـم خليلـه محمـد ﷺ ليختـم بـه رسـالتهم وختم بشـريعته شـرائعهم ونسـخ به أديانهـم. فلا يعبد اللـه تعالى إلا بشـريعة الإسـلام فإنـه الدين الـذي كلمه اللـه، وأتم به النعمـة، ورضيه، ولا يقبـل دينـًا غيره، قال تعالـى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ** ﴾ [آل عمـران: ٨٥].

مـن خصائـص النبـي محمـد ﷺ: نؤمـن بأن محبة رسـول اللـه ﷺ لها

علامات جليلة امتحن الله بها المدعين ورتب عليها محبته ﷺ، ومغفرته للمتبعين.

قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

فمحبة النبي ﷺ تابعة لمحبة الله ﷻ، وقد قال المعصوم ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده والناس أجمعين»[١].

ولا تقوم محبة النبي ﷺ إلا باتباع ما جاء به عن ربه ﷻ، من الهدى ودين الحق، فمن اهتدى بهداه في هذه الدار اهتدى إلى الجنة في دار القرار.

فنقر بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي هو النبي المصطفى، والرسول المجتبى من الله ﷻ، لا نبي بعده، وأنه لم يمت حتى بيَّن الدين كله، وبلغ البلاغ المبين، وترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وللنبي ﷺ خصائص كثيرة دلت على شرفه وكرامته على ربه ﷻ، وعلى أنه خير خلق الله ﷻ وأحبهم إليه، وقد أفرد تلك الخصائص جماعة من مصنفي أئمة أهل العلم في كتب مستقلة، فمن تلك الخصائص:

---

(١) رواه البخاري (١٤)، ومسلم (٤٤).

١- ختم النبوة به، فإنه ﷺ خاتم النبيين وآخر المرسلين، لقوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وصحّ عن النبي ﷺ قوله: «وخُتم بي النبيون»(١).

وإذا خُتمت النبوة ختمت الرسالة، فلا يُبعث بعده نبي ولا رسول، لكن جاءت النصوص ثابتة أن عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل في آخر الزمان خليفة للنبي ﷺ في أمته، وحاكمًا بشريعته، «فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام»(٢).

٢- أنه سيد المرسلين، لقوله ﷺ: «أنا سيد الناس»(٣)، وفي حديث آخر: «سيد ولد آدم»(٤)، ولصلاة النبيين والمرسلين خلفه ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في المسجد الأقصى، فقد جمع الله تعالى أرواحهم في مثال أجسادهم وصلوا خلف رسول الله ﷺ، مؤتمين به -عليهم الصلاة والسلام جميعًا-.

٣- أنه لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته وعمومها لجميع الناس، لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، ولقد أخذ كل نبي من أنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام- على قومه أن إذا بعث فيكم محمد ﷺ لتؤمنن به

---

(١) رواه البخاري (٣٥٣٣)، ومسلم (٢٢٨٧).
(٢) رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥)، (٢٤٢).
(٣) في حديث الشفاعة الطويل، رواه البخاري (٣٣٦١)، ومسلم (١٩٤).
(٤) رواه مسلم (٢٢٧٨).

ولتتبعنه؛ تحقيقًا لما أخذ الله عليه من الميثاق بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١].

ومن أدلة عموم رسالته قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله ﷺ: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعثتُ إلى الناس عامة»[١].

٤- أنه صاحب الشفاعة العظمى، فلا يقضى بين الناس إلا بشفاعته، وهي الشفاعة العظمى التي يتخلى عنها أولو العزم من الرسل حتى تنتهي إليه، فيشفع فيشفّعه الله، ويأتي للفصل بين عباده.

٥- أنه أول من يستفتح باب الجنة فيفتح له، وأول من يدخلها، لا يدخل أحدٌ قبله.

٦- أنه صاحب لواء الحمد يحمله ﷺ يوم القيامة، ويكون الحامدون تحته، لحديث: «وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه، إلا تحت لوائي»[٢].

٧- أنه صاحب المقام المحمود، أي: العمل الذي يحمده عليه الخالق والمخلوق، وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه يوم القيامة.

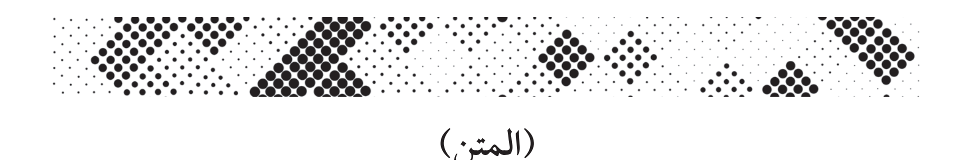
---

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).
(٢) رواه الترمذي (٣٦١٥)، وأحمد في المسند (١/ ٢٨١).

والله أعلم.

٨- هو صاحب الوسيلة، وهي المنزلة العالية في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد، قال ﷺ: «وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حَلَّت له الشفاعة يوم القيامة»[1].

(١) رواه مسلم (٣٨٤).



## (المتن)

وَيَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بالرُّسُلِ: الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ، فَالْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتَضِي الْإِيمَانَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِن الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا.

فَلَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِهِ إِلَّا بِذَلِكَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ عِلْمًا بِذَلِكَ وَتَصْدِيقًا وَاعْتِرَافًا وَعَمَلًا؛ كَانَ أَكْمَلَ إِيمانًا.

## (التعليق والشرح)

الإيمان بالكتب:

تعريف الكتب: الكتب لغة: جمع كتاب، والكتاب مصدر: كتب، يكتب، كتابًا، ثم سُمي به المكتوب.

والكتاب في الاصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها، كما قال ﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [النساء: ١٥٣]، يعني: صحيفةً مكتوبًا فيها مثل التوراة.

والمراد بالكتب هنا اصطلاحًا: هي الكتب التي حوت كلام الله تعالى، الذي أوحاه إلى رسله -عليهم الصلاة والسلام-، سواءً ما أنزله عن طريق الملَك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب، أو ما

نـزل مكتوبًـا من عنـد اللـه تعالى كالتـوراة التي نزلـت مكتوبة فـي الألواح، كتبهـا اللـه تعالـى بيده.

وجـوب الإيمـان بالكتـب ومنزلتـه مـن الإيمـان: نؤمـن بالكتـب السـماوية التـي أنزلها الله على رسـله، كصحـف إبراهيم والتـوراة والزبور، والإنجيـل والقُـرآن؛ وان اللـه أنزلهـا هدايـة لعبـاده متضمنـة لشـرائع دينه، ويجـب على مـن أنزلـت عليهم الإيمـان بها، والعمـل بما جاء فيهـا، وترك مخالفتهـا؛ ولا يسـعهم الخـروج عنها.

والإيمـان بالكتـب أصـل من أصـول الإيمـان، وركن مـن أركانه، فلا يتحقـق إيمـان عبـد حتـى يؤمـن بهـا، ولهـذا أمر اللـه تعالـى بالإيمـان بها، فقـال: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾ [النسـاء: ١٣٦] الآيـة، فأمـر ﷻ عبـاده المؤمنين بالإيمان والتصديـق بجميـع شـرائع الإيمان وشُـعبه وأركانـه، فيؤمنوا بالله ورسـوله وهـو محمـد ﷺ، والكتـاب الـذي نـزل عليه وهـو القُـرآن، والكتـاب الذي أنـزل مـن قبـل وهـو جميـع الكتـب السـابقة -والتي منهـا صحـف إبراهيم والألـواح التـي هـي تـوراة موسـى- التـي أنزلهـا الله علـى المرسـلين من قبـل، فمـن كفـر بشـيء مـن ذلـك؛ فقد ضـل، ولهـذا قـال سـبحانه: ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقـرة:١٣٧]، فالكتـاب اسـم جنس يشـمل جميـع الكتـب المنزلة علـى الرسـل -عليهم الصـلاة والسـلام- مـن ربهم، والتـي خُتمت بآخرهـا وهو القُـرآن المهيمن

علـى ما قبلـه مـن الكتاب.

ولتقريـر الإيمـان بالكتـب كلهـا أمـر اللـه تعالـى عبـاده المؤمنيـن أن يخاطبـوا أهـل الكتـاب بقولـه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقـرة: ١٣٦]، فتضمنـت الآيـة إيمـان المؤمنيـن بمـا أنـزل عليهـم بواسـطة محمـد ﷺ، ومـا أنـزل علـى أعيـان النبييـن المذكوريـن فـي الآيـة، ومـا أنزل علـى بقية الرسـل فـي الجملة، وأنهـم لا يفرقون بين الرسـل في الإيمـان، فلا يؤمنون ببعضهـم دون بعـض، كصنيـع الضُّـلّال مـن أهـل الكتـاب؛ بـل يؤمنـون بجميـع الرسـل، وبـكل مـا أنـزل اللـه تعالـى مـن الكتب.

ومـن السُّـنَّة حديـث جبريـل المشـهور، وفيـه الإيمـان بالكتـب، قال ﷺ: «الإيمـان أن تؤمـن باللـه، وملائكتـه، وكتبـه، ورسـله، واليـوم الآخر، وبالقـدر خيـره وشـره»[1]. الحديـث فذكـر النبـي ﷺ فـي إجابتـه الإيمـان بالكتـب، فـدل على وجوب ذلـك مع بقيـة أركان الإيمان، فتقـر أن الإيمان بجميـع الكتـب ركن مـن أركان الإيمـان باللـه ﷻ، لا يصح الإيمـان بدونه، ولا يقبـل العمـل إلا به.

كيفيـة الإيمـان بالكتـب: هـو اعتقـاد أن للـه تعالـى كتبًـا أنزلهـا على رسـله هدايـةً لعبـاده، متضمنـةً لأصـول دينـه وقواعـد شـريعته، وكليـات

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

الأخلاق التي يحبها الله سبحانه ويرضاها، ومهمات مما نهى عنه جل ذكره.

وتحقيق الإيمان بالكتب يكون بأمور:

١- الإيمان بما سمى الله منها تفصيلًا: كصحف إبراهيم، وصحف موسى -وهي التوراة-، والزبور، والإنجيل، والقُرآن، وإجمالًا بما لم يسمه منها.

٢- اعتقاد أنها كلها كلام الله تعالى، تكلم بها حقيقة كما شاء بكيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه، وأنها حق وصدق وهدى لمن خوطب بها من الأمم، ومشتملة على الشرائع التي تعبّد الله المخاطبين بها.

٣- اعتقاد أنها كلها دعوة إلى عبادة الله تعالى، وتفصيل لحقه على خلقه وحقوق عباده بعضهم على بعض، وفيها نهي لهم عن مخالفته، وذكر ثواب المطيعين وعقوبات العاصين.

٤- اعتقاد أنها يصدق بعضها بعضًا، فلا تناقض بينها ولا تعارض، فإنها سالمة من ذلك، فإن وجد فيها ما يوهم التعارض والتناقض فهذا جاء من أفهام بعض الناس وعقولهم، وليس من جهتها.

٥- أن الحجة قامت بها على المخاطبين بها، واتضحت لهم بها المَحَجَّة، وزالت بها المعذرة، فيجب العمل بها، ولا يحل لهم مخالفتها، ولا التحاكم إلى غيرها، ولا تعطيلها؛ بل يجب عليهم قبولها

والعمل بهداها والحذر من مخالفتها.

٦- أن الكتب الأولى كانت موجهة لأزمنة محدودة، ولطوائف معينة، وأن بعضها ينسخ بعضها، وأن المتأخر منها ينسخ المتقدم من حيث الأحكام.

٧- الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ نسخ جميع الكتب السابقة بالقُرآن العظيم المشتمل على أحسن ما فيها، وجعل الله فيه أحكامًا مناسبة للأمة إلى أن يأتي الله بأمره، وصانه عما في الكتب السابقة من الآصار والأغلال، وما لا يناسب الأمة من أحكام الكتب السابقة، وحفظه من أن تمتد إليه يد التحريف، فأغنى به سبحانه عنها، وجعله حاكمًا ومهيمنًا عليها، فلا يسع أحدًا من أهل الكتب السابقة ولا غيرهم أن يعبد الله تعالى بعد نزول القُرآن بغير ما جاء به، ولا أن يتحاكموا إلى غيره.

ومما نُصَّ عليه من الكتب المنزلة وسُمِّي:

١- صحف إبراهيم: وكانت حِكمًا كلها، وفيها عناية بالتوحيد وأصول الملة، والمباينة للشرك وأهله.

٢- صحف موسى: وهي التوراة، وإنما سميت صحفًا لأنها نزلت مكتوبة كتبها الله تعالى بيده، وفيها العناية بالأحكام أكثر، وقد بقيت الشريعة العامة لبني إسرائيل حتى نسخت بالقُرآن العظيم.

٣- الزبور: وأنزل على داود عليه السلام، وكانت العناية فيه بالثناء على

الله ﷻ، والدعوات والأذكار.

٤- الإنجيل: وأنزل على عيسى عليه السلام وكان من جملة ما اشتمل على العناية بالأخلاق: كالتواضع والصبر والتسامح والصفح وحسن الظن، كما يفهم ذلك مما ورد بشأنه من النصوص.

٥- القرآن: وهو آخرها، والمهيمن عليها، والخاتم لها، وأنزل على محمد ﷺ، والتركيز فيه على جميع ما سبق، ولذا نسخها الله ﷻ وأغنى به عنها.

وحُكم السنة حكم القُرآن في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد والعمل، فإن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتؤكد ما دل عليه كما أنها تقيد مطلقه وتخصص عمومه وتستقل عنه بأحكام ليست فيه.

فمن الإيمان بالكتاب والسنة: تقديم كلام الله تعالى وهدي رسوله ﷺ على غيرهما فيأخذون بهما ويتركون كل ما خالفهما من كلام الناس لأن كلام الله تعالى هو الحق ويهدي إلى الحق، ولأن الله تعالى قد أمر باتباع رسوله ﷺ وحسن التأسي به وجعل ذلك من طاعته ومن أسباب رحمته ومغفرته ومحبته وحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، وجعل سبحانه تحكيم رسوله شرط الإيمان به، ولأن النبي ﷺ قد تبرأ ممن رغب عن سنته وحذر من المحدثات ووصفها بأنها شر الأمور وأنها ضلالة.

وكذلك أهل السنة يتبعون هدي الخلفاء الراشدين والصحابة المهديين لأمر النبي ﷺ باتباعهم، ولأنهم أعلم الأمة بمراد الله ورسوله.

وإجمالًا الإيمان بالكتب المنزلة هو: الإيمان الجازم بأن الله تَعَالَى كُتبًا أنزلها على من شاء من رُسله هداية لعباده متضمنة شرائعه لعباده -منها ما سماه الله تَعَالَى لعباده كصحف إبراهيم وموسى- وهي التوراة، والزبور والإنجيل والقُرآن، ومنها ما لم يسمه وأنها كلها كلام الله تعالى حقيقة تكلم الله بها وأنزلها على رسله وأن الله تعالى قد ختمها بالقرآن الذي أنزله مهيمنًا عليها ومصدقًا لها وناسخًا للمؤقت من أحكامها مشتملًا على أحسن ما فيها مع ما شرعه الله تعالى فيه زيادة عليها ما جعله الله به شريعة شاملة كاملة باقية في هذه الأمة إلى آخر الدهر مغنية لها عن أنظمة وأعراف البشر فلا يجوز تعطيل أحكامه ولا التحاكم إلى غيره.



## (المتن)

والْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ والْقَدَرِ دَاخِلٌ فِي هذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ.

وَمِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِهِ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ أَوْ حِسِّيٌّ عَلَى خِلَافِهِ. كَمَا لَا يَقُومُ دَلِيلٌ نَقْلِيٌّ عَلَى خِلَافِهِ، فالْأُمُورُ الْعَقْلِيَّةُ أَو الْحِسِّيَّةُ النَّافِعَةُ، تَجِدُ دِلَالَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُثْبِتَةً لَهَا، حَاثَّةً عَلَى تَعَلُّمِهَا وَعَمَلِهَا.

وَغَيْرُ النَّافِعِ مِنَ الْمَذْكُورَاتِ لَيْسَ فِيهَا مَا يَنْفِي وُجُودَهَا، وَإِنْ كَانَ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ يَنْهَى وَيَذُمُّ الْأُمُورَ الضَّارَّةِ مِنْهَا. وَيَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، بَلْ وَسَائِرُ الرُّسُلِ.

## (التعليق والشرح)

الإيمان بالملائكة

تعريف الملائكة: الملائكة في اللغة: جمع مَلأَك، نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبله، ثم حذفت تخفيفًا فصارت ملكًا، وهو مشتق من «الألوكة» التي هي الرسالة، الجمع: ملائك، وملائكة[1].

فالمَلَك في اللغة: حامل الأَلوكة وهي الرسالة، فإن الملائكة عليهم السلام

---

(١) ينظر: لسان العرب (١/ ٥٣٥)، تاج العروس (٢٧/ ٤٨).

رسل الله تعالى، يتلقون رسالته وينفذون ما كلفوا به منها، ويبلغون ما حُمِّلوا منها إلى غيرهم، قال ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر: ١][1].

والملائكة في الاصطلاح: مخلوقات نورانية عاقلة متكلمة مريدة، أُعطيت قدرةً على التشكل بالصور الحسنة، ومسكنهم السماوات[2].

فالملائكة هم رسل الله ﷻ في تنفيذ أمره الكوني -الذي يوحيه إليهم- في ملكوته، وسفراؤه إلى أنبيائه ورسله من البشر في تبليغ وحيه الشرعي ورسالاته قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

ودليل أن الملائكة مخلوقات نورانية ما ثبت في صحيح مسلم قال ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور»[3]، ودليل تشكُّلهم بالصور الحسنة ما ثبت في القرآن أنهم جاءوا إبراهيم في صورة أضياف كرام كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤].

وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه[4]،

(١) ينظر المرجعين السابقين.
(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٨٦)، تفسير الألوسي (١/ ٢٢٠)، البيان لأركان الإيمان للشيخ عبد الله القصير.
(٣) جزء من حديث رواه مسلم (٢٩٩٦).
(٤) رواه النسائي (٤٩٩١).

رجل من الصحابة حسن الخلق وقور الهيئة.

وجاء النبي ﷺ مرة -كما في الصحيحين- في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه من الصحابة أحد(١).

ثانيًا: خصائص الملائكة:

للملائكة عليهم السلام خصائص تميّزهم عن الجن والإنس وسائر المخلوقات:

١- أن مسكنهم السماء، وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذًا لأمر الله، قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩].

٢- أنهم لا يُوصفون بالأنوثة، فقد كذّب الله المشركين على وصفهم لهم بذلك، فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢٧].

٣- أنهم يطيعون الله ولا يعصونه، فلا تصدر عنهم الذنوب، قال جل وعلا: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

٤- دوام العبادة؛ فلا فتور ولا سأم، قال عز وجل: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

ﱡﭐ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﱠ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، وقـال ﷻ: ﱡﭐ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﱠ [فصلت: ٣٨].

من صفات الملائكة:

١- موصوفـون بالعلـم والقـوة والشـدة، قـال ﷻ: ﱡﭐ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﱠ [البقرة: ٣٠]، وقـال ﷻ: ﱡﭐ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﱠ [النجم: ٥]، يعنـي جبرائيـل عليه السلام، وقـال ﷻ فـي وصـف خزنـة جهنـم: ﱡﭐ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ ﱠ [التحريـم: ٦].

٢- موصـوف بعظم الخلـق: فقد رأى النبـي ﷺ جبرائيل على صورته التـي خلقـه اللـه عليها سـادًّا عِظـم خلقه مـا بيـن السـماء والأرض[١]، ورآه ﷺ لـه سـتمائة جنـاح[٢]، وفي صفـة حملـة العرش ما بيـن شـحمة أذنه إلى عاتقه مسـيرة سـبعمائة عام[٣].

٣- الحسـن والجمـال: قـال ﷻ فـي جبرائيـل: ﱡﭐ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﱠ [النجم: ٦]، فسّـرها ابـن عبـاس رضي الله عنه وقتـادة بالحُسـن والجمـال فـي المنظر والخلـق والطـول، وقالـت النسـوة صواحـب يوسـف فـي جمـال يوسـف عليه السلام: ﱡﭐ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﱠ [يوسـف: ٣١]، وقـد سـاق اللـه ﷻ الـكلام مسـاق التقرير.

---

(١) رواه البخاري (٤٦١٢)، ومسلم (١٧٧).

(٢) رواه البخاري (٤٨٥٦)، ومسلم (١٧٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥١).

٤- أنهم كرام أبرار، قال ﷻ: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس: ١٦].

٥- الحياء الشديد، ففي صحيح مسلم قال ﷺ في عثمان رضي الله عنه: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[1].

دلالة النصوص بشأن الملائكة:

تواترت النصوص من الكتاب والسُّنّة في الخبر عن الملائكة وعما يتعلق بهم، ودلت النصوص بشأنهم على أمور:

الأول: أنهم من أعظم خلق الله شأنًا، وأشدّهم وأقواهم خلقة: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]، ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧].

الثاني: أنه لا يعلم كيفية خلقهم إلا الله: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر: ١]، ولأنهم من عالم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه.

الثالث: أنهم من الكثرة بحيث لا يحصيهم إلا الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وفي الصحيح ذكر النبي ﷺ في السماء السابعة البيت المعمور، وفيه: «يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يرجعون إليه آخر ما عليهم»[2].

الرابع: أن الله تعالى قد تعبّدهم بالقيام بأعمال كبيرة جليلة تدل

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠١).

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

علـى عظـم شـأنهم، وعلو مقامهـم عنـد الله ﷻ.

الخامـس: أنهـم يقومـون بما كلفـوا به خير قيـام، في غاية مـن الطاعة والقـوة والأمانـة وحسـن الأداء، ومع ذلك هـم في عبادة عظيمـة لله تعالى، فهـم يصلون لـه ويسـبحونه ويذكرونـه ويسـتغفرونه ويثنـون عليه سـبحانه بمـا هو أهلـه، قـال ﷻ: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبيـاء: ١٩، ٢٠]، وقال ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ [فصلـت: ٣٨].

وظائـف الملائكـة والحكمـة مـن خلقهـم: دلّ الاسـتقراء والتتبـع لنصـوص الكتـاب والسـنة الـواردة بشـأن الملائكـة عليهم السلام بأنهـم عبـاد للـه تعالـى، يكلفهـم مـن أمره بمـا يشـاء، وتـكاد تنحصـر وظائفهـم وأعمالهم مـن حيـث متعلقهـا بثلاثـة أنـواع، هـي حِكـم خلقهـم:

الأول: عبـادة اللـه تعالـى بالإيمـان به وحـده وتمجيـده والثنـاء عليه بمـا هـو أهله، وذكـره ودعائه واسـتغفاره والصـلاة له، وهـذا وصفهم العام مـع مـا يكلفـون بـه مـن مهـام، ومنهـم من هـذا شـأنه أبـدًا فهـم صفوف لا يفتـرون، ومنهـم سـجّد لا يرفعـون منـذ خلقهم اللـه، وقـد وردت أحاديث بهـذا المعنـى احتـج بهـا أهـل العلـم، كقولـه ﷺ: «أطّت السـماء وحـق لها أن تئـط، مـا فيها شـبر» وفـي روايـة: «أربع أصابـع، إلا وملك قائـم أو راكع أو سـاجد»، وفـي روايـة: «لا يرفعـون رؤوسـهم منـذ خلـق الله السـموات

والأرض»، وفي رواية: «لا يرفعونها إلى يوم القيامة»[١].

فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله ﷻ، فقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

الثاني: تدبير أمر الملكوت -علوية وسفلية وما بينهما- وما فيه من مخلوقات وعوالم غير مكلفة، المنظورة وغير المنظورة بأمر الله تعالى، وذلك من جليل حكم خلقهم: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، فأعمالهم كثيرة ومسئولياتهم كبيرة، وهم مجموعات متنوعة، لكل مجموعة اختصاص:

- فمنهم: المكلفون بحمل العرش وعددهم ثمانية.

- ومنهم: المكلفون بتبليغ الوحي إلى حيث أمر الله ﷻ ورئيس ملائكته جبرائيل عليه السلام، فهو أمين على وحي الله، يرسل الله به إلى الأنبياء والرسل.

- ومنهم: خزنة الجنة ورئيسهم رضوان.

- ومنهم: خزنة النار ورئيسهم مالك.

- ومنهم: ملائكة الأرواح ورئيسهم إسرافيل.

- ومنهم: ملائكة الأرزاق ورئيسهم ميكائيل.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد في المسند (٥/ ١٧٣). وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (٨٥٢، ١٠٥٩، ١٠٦٠).

- ومنهم: المكلفون بحفظ السموات.

- ومنهم: المكلفون بالرياح والسحاب.

- ومنهم: المكلفون بالجبال.

- ومنهم: المكلفون بالنبات.

- ومنهم: المكلفون بالبحار.

- ومنهم: المكلفون بأمور الطيور والدواب، ونحوها من الأمم والعوالم التي لا يحصيها إلا الله ﷻ.

الثالث: تدبير أمر بني آدم والصلة والوثيقة بهم في أحوال كثيرة، في حياتهم وبعد مماتهم، وقد جاءت النصوص بإثبات وظائف جماعات من الملائكة عليهم السلام على التفصيل كما يلي:

١- حفظ بني آدم، وهو من عمل الملائكة المعقبات.

٢- حفظ أعمال بني آدم، وهو من عمل الكرام الكاتبين.

٣- السياحة لالتماس مجالس الذكر وحلق العلم.

٤- كُتّاب الناس يوم الجُمُعة على أبواب المساجد الأول فالأول.

٥- الصلاة على المصلين مدة انتظارهم لصلاة الجماعة.

٦- فتنة الأموات في القبور.

وجوب الإيمان بالملائكة ومنزلته من الدين: جاء الإيمان بالملائكة مقرونًا بالإيمان بالله تعالى، فهو أحد أركان الدين الثابتة

بالأدلة القطعية اليقينية من الكتاب والسُنة وإجماع السلف الصالح، قال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وثبت في الصحيحين من غير وجه قوله ﷺ إجابةً على سؤال جبرائيل له عن الإيمان: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ... إلخ»[١]، والأدلة على هذا الركن كثيرة.

فنحن نؤمن بملائكته كلهم، من أخبرنا الله بهم، ومن لم يخبرنا؛ وأنهم عباد مكرمون، وانهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

فإنكار الملائكة عليهم السلام وجحود وجودهم كفر بنص التنزيل، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

والقول بأن الملائكة عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات قول باطل لا سند له من كتاب ولا سُنة، ومع بطلانه فإنه تنقص للملائكة المقربين وهضم لمكانتهم التي أخبر الله ﷻ في الكتاب المبين، فهو تكذيب بكتاب الله تعالى، وردّ لسنة نبيه ﷺ واتباعٌ لغير سبيل المؤمنين، قال ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

كيفية الإيمان بالملائكة عليهم السلام: الإيمان بالملائكة هو: الاعتقاد الجازم بجودهم، والتصديق التام بما جاءت به الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة بشأنهم ووظائفهم وأعمالهم التي يقومون بها طاعةً لله تعالى وعبوديةً له جل وعلا.

ويتحقق الإيمان بأمور:

الأول: التصديق بوجودهم ومادة خلقهم، وما جاءت به النصوص من صفتهم والحكمة من خلقهم وشأنهم.

الثاني: الإيمان تفصيلًا بمن علمنا اسمه من طريق الوحي على وجه الخصوص، مثل: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، ورضوان، ومالك، ونؤمن إجمالًا بما لم نعلم اسمه منهم.

الثالث: الإيمان بما علمنا من وظائفهم وأعمالهم وما دلت عليه النصوص من اختصاصهم -على الوجه الذي ورد- واعتقاد أنهم يقومون بما كلفوا خير قيام وأحسنه.

الرابع: الاعتقاد بأنهم عباد مخلوقون مربوبون ليس لهم من خصائص الإلهية والعبادة شيء، والكفر بعبادة من عبدهم والبراءة منه.

الخامس: التصديق بمقاماتهم العظيمة عند الله تعالى، وما لهم عنده من الكرامة، واعتقاد وجوب موالاتهم ومحبتهم، واعتقاد تفاضلهم في المقامات والمهمات، والحذر من معاداتهم.

السادس: تنزيههم وتبرئتهم مما زعمه المشركون فيهم من أنهم إناث أو بنات الله، أو أنهم يشفعون عند الله بغير إذنه، أو يشفعون لأحد من المشركين به.

وإجمالًا: التصديق والاعتقاد الجازم بأن لله تعالى ملائكة خلقهم من نور خلقهم لعبادته، وتدبير ملكه وشأن عباده بأمره فهم يتعبدون لله بذلك، ومن صفتهم أنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وليس لهم من خصائص الإلهية شيء ولا يستحقون شيئًا من العبادة، فنعتقد وجوب الإيمان بالملائكة إجمالًا، وبمن سمى الله منهم من شخص أو جماعة تفصيلًا والتصديق بكل ما ذكره الله تعالى من صفاتهم وطوائفهم ووظائفهم وأعمالهم، الخاصة بهم أو المتعلقة بغيرهم وكمال القيام بمهامهم التي أمرهم الله بها إلى غير ذلك مما أخبر الله تعالى ورسوله ﷺ به.

الإيمان بالقدر:

نؤمن بالقدر كله، حلوه، ومره، خيره، وشره، وهو سر الله ﷻ في خلقه، وتدبيره لملكوته وعباده بمقتضى علمه، وحكمته، ولطفه، ورحمته بمن يشاء، وعدله وحكمته فيمن يشاء: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

تعريف القدر: القدر لغة: مصدر قدّرت الشيء أقْدُره قدرًا، أي: أحطتُ بمقداره، فهو الإحاطة بمقادير الأمور[١].

وشرعًا: هو علم الله ﷻ بالأشياء وكتابته لها قبل كونها، على ما هي عليه، ووجودها على ما سبق به علمه وكتابته بمشيئته وخلقه[٢].

مراتب القدر: يتضح من تعريف القدر شرعًا أن له أربع درجات:

الأولى: سبق علم الله المحيط بكل شيء: فعلم سبحانه كل شيء وأجل كل حي، وعلم الخير والشر، وقدّر النفع والضر، علم ما كان وما يكون وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال ﷻ: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

الثانية: كتابته لهذا العلم في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض: قال ﷻ: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]، وفي الحديث: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة[٣].

وفي صحيح مسلم: «كان ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[٤].

(١) ينظر: العين (٥/ ١١٢)، مقاييس اللغة (٥/ ٦٢)، المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٣٠٠).
(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ١١٨)، البيان لأركان الإيمان للشيخ عبد الله القصير.
(٣) رواه أبو داود (٤٧٠٠).
(٤) رواه مسلم (٢٦٥٣).

وفي هاتين الدرجتين يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

الثالثة: المشيئة: فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال ﷻ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]، وقال ﷻ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

فما شاء الله من شيء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملك الله ﷻ إلا ما شاء، قال ﷻ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، وقال المعصوم ﷺ: «ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»[١].

وما يشاؤه ﷻ كونًا فإنه:

أ- قد يكون محبوبًا له مرضيًا لكونه موافقًا لشرعه، ومن ذلك طاعة المطيعين قال ﷻ: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وقال المعصوم ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»[٢].

ب- قد يكون مكروهًا له سبحانه غير مرضي، وذلك كمعصية

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).
(٢) رواه مسلم (١٧١٥)، وأحمد (٨٧٩٩)، واللفظ له.

العاصيـن، قـال ﷻ: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزمـر: ٧]، وقـال المعصـوم ﷺ مخبـرًا عـن ربـه: «ويكره قيـل وقـال، وكثرة السـؤال، وإضاعـة المال»، وقـال ﷻ: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾ [الإسـراء: ٣٧، ٣٨].

فما وافق الشرع فد اجتمعت فيه الإرادتان:

الكونية القدرية التي بمعنى المشيئة العامة.

والدينيـة الشـرعية، التـي بمعنـى المحبـة فهـو محبـوب للـه ﷻ مـن جهتيـن همـا:

١- موافقته للقدر.

٢- موافقتـه للشـرع، فيثـاب المطيـع على قصـده، واختياره، وسـعيه لامتثـال أمـر الله ﷻ.

ومـا خالـف الشـرع فقـد انفـردت فيـه الإرادة الكونيـة، وتخلفت عنه الإرادة الشـرعية؛ فهـو ممـا أراده اللـه من جهـة موافقته للقـدر، ومن حكمه ذلـك الابتـلاء، ليميـز الشـاكر مـن الكافـر، ومكـروه مـن جهـة مخالفتـه للشـرع، وهـو الـذي يكون الإنسـان عرضة للعقـاب عليه لأنه حيـن قصده، وخالـف الشـرع مختـارًا لا علـم لـه بالقـدر فـلا حجـة لـه علـى معصيتـه، فعقابـه علـى قصـده، واختيـاره، وسـعيه فيمـا يخالف الشـرع، وهذا كسـبه الـذي يرتهـن به.

الرابعة: الخلق: وهي أنه تعالى خلق كل شيء، فلا يوجد شيء إلا بمشيئته وخلقه، وهو خالق أفعال العباد خيرها وشرها، قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦].

فإن الله ﷻ خالق كل شيء، وهو الخلاق العليم؛ فلا خالق غيره كما لا رب سواه، قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال ﷻ: ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١]، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

القدر والقضاء: يقال: في الإسلام والإيمان، والبر والتقوى: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، أي: إذا اجتمعا في نص واحد كحديث سؤال جبرائيل عليه السلام للنبي ﷺ عن الإسلام والإيمان فسر الإسلام بالأقوال والأعمال الظاهرة، وفسر الإيمان بالاعتقادات والنيات والأعمال القلبية الباطنة، وإذا ذكر أحدهما دون الآخر فسر بمعناه ومعنى الآخر جميعًا.

فهكذا القدر والقضاء إذا ذكرا جميعًا فسر القدر بسبق علم الله ﷻ بالشيء وكتابته له، وفُسر القضاء بمشيئة الله تعاى للشيء وإيجاده في وقته على الكيفية التي أراد وعلى وفق ما سبق به علمه وجرى به قلمه، فيكون القدر إحاطة علم الله بالشيء سابقًا، والقضاء تنفيذ الشيء والفراغ منه لاحقًا.

وإذا ذكر أحدهما في النص وحده فسر بمعناه ومعنى الآخر جميعًا، فيفترقان في المعنى عند الاجتماع، ويتفقان عند الافتراق.

كيفية الإيمان بالقدر ومنزلته: الإيمان بالقدر هو التصديق التام والاعتقاد الجازم:

١- بعلم الله القديم بالأشياء قبل كونها على ما هي عليه، وأنه تعالى علم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فقد أحاط الله تعالى بكلّ علمًا، وعلمه غير مسبوق بجهل، ولا يعرض له نسيان، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

٢- والإيمان بأن هذا العلم مكتوب في اللوح المحفوظ، فإن الرب ﷻ خلق القلم فأمره بكتابة المقادير إلى يوم القيامة فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وكان ذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة[1]، قال ﷻ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣]؛ أي: مكتوب مسطور في كتاب.

٣- والاعتقاد الجازم بأنه لا يكون في ملكه تعالى شيء من إيجاد أو عدم أو حركة أو سكون، ولا فعل ولا ترك، ولا طاعة أو معصية إلا بمشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، مالك الملك ومدبره بمشيئته وحكمته، لا مالك غيره، ولا ربَّ سواه.

٤- التصديق التام بأن الله تعالى خالق كل شيء لا خالق غيره، فهو خالق العباد وأعمالهم خيرها وشرها، قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال ﷻ: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

(١) منها: ما رواه مسلم (٢٦٥٣)، والترمذي (٢١٥٦)، وأحمد (٦٥٧٩).

٥- والعلم بأن ما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه؛ فالإيمان بالقدر من أصول الاعتقاد، التي دلّ عليها القُرآن، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال ﷻ: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]، وقال ﷻ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢].

دلّت عليها السُّنَّة الصحيحة، فمن ذلك ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله ...»، وفي آخره: «وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»(١).

وأجمع عليه الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان، فقد ثبت عن عدد من الصحابة الذين أدركوا طائفة القدرية الضال -نفاة العلم- وردوا بدعتهم بالدلائل من الكتاب والسنة، وأخبروهم أن العبد لا يذوق طعم الإيمان ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا ولا ينجو من النار حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وتبرؤوا ممن أنكر القدر أو تكلّم فيه بخلاف الشرع.

القدر والتوحيد: صحّ عن علي رضي الله عنه أنه قال: القدر سر الله في الخلق(٢)، وعن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: القدر قدرة الله(٣).

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).
(٢) الشريعة للآجري (٢/ ٨٤٥).
(٣) منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٥٤)، شفاء العليل (ص: ٢٨).

فالقدر سر الله في الخلق وتدبيره الملك، وهو دليل على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمه وقوته ولطفه، فمن لا يؤمن بربوبية الله وأسمائه وصفاته فإنه لا يؤمن بالقدر حقًا.

فإن القدر من متعلقات توحيد الربوبية، فمن آمن بربوبية الله آمن بقضائه وقدره وسلّم له في حكمه، فإنه تعالى يدبر خلقه وعباده كيف شاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

والإيمان بالقدر والتسليم لله تعالى عند المصائب، والشكر له عند النعم، والتوبة إليه عند المعاصي، والإخلاص له في العبادة نيةً وقصدًا وعملًا، والصبر على ذلك؛ من تحقيق توحيد الإلوهية والعبادة.

وكل أفعاله ﷻ من العطاء والمنع والخفض والرفع والابتلاء والعافية والإعزاز والإذلال، وكل ذلك من معالم وآثار توحيد الله في أسمائه وصفاته وأفعاله ﷻ.

الإيمان بالقدر يقتضي العمل: لا يتم الإيمان بالقدر حتى يعلم العبد ويعتقد أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوه لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه، لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، جفت الأقلام، وطويت الصحف.

فمن أسمائه سبحانه (الحكيم)، ومعناه: الحَكَم ذو الحكمة الذي

يُحكِم الأمور ويتقنها ويضعها مواضعها اللائقة بها.

وهو (القدير) الذي لا يعجزه شيء، ولا يمتنع منه شيء؛ بل إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن فيكون، وخلق كل شيء فقدّره تقديرًا: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩].

فإذا تقرّر ذلك فإن الله تعالى بعلمه وقدرته ومشيئته وخلقه وقوته قد جعل للمسببات أسبابًا تُنال بها، وللقاصد طرقًا ووسائل تحصل بها، وقرر هذا في الفطر السليمة، ودلّ عليه العقول الصحيحة، وقرّر ذلك في الشرائع والرسالات، ونفّذه في الواقع وجعله مدركًا من خلقه في الواقع والمشاهدات، فأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، ثم هداه لما خلقه له من أصناف السعي والحركة والتصرفات المتنوعة، وبنى أمور الدنيا والآخرة على ذلك النظام البديع العجيب الشاهد لله سبحانه بكمال العلم والحكمة والقدرة والقوة، وأشهد العباد أنه بهذا التنظيم الدقيق والتصرف الحكيم والتيسير البيِّن وجه العالمين إلى أعمالهم، ونشطهم إلى أشغالهم، ليحرصوا على ما ينفعهم، ويباشروا من الأسباب الشرعية والمباحة ما أمكنهم، مستعينين بربهم، متوكلين عليه في تحصيل مقصودهم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة: ١٠٥] وقال ﷺ: «اعملوا، فكلٌ ميسَّرٌ لما خُلق

لـه»[١]. وقـال ﷺ: «احـرص على مـا ينفعك، واسـتعن باللـه ولا تعجز، فإن أصابتـك شـيء فلا تقل: لـو أني فعلـتُ كذا كاان كـذا، ولكن قل: قـدر الله وما شـاء فعـل»[٢].

فعلـى العبـاد أن يعملـوا جهدهـم ويباشـروا ما تيسـر لهم من أسـباب ويتكلـوا علـى ربهـم، فـإن حصـل لهـم مـا يحبـون ممـا لا يخالف شـرعه شـكروا اللـه ﷻ، وإن أصابتهـم مصيبـة سـلّموا له وحمـدوا وصبـروا، وإن أذنبـوا تابـوا إلـى ربهـم واسـتغفروه، فتكـون كل أمورهـم لهـم خيـر فيمـا يحبـون ومـا يكرهـون، يشـكرون عنـد حصـول المحـابّ، ويصبـرون عند المصائـب، ويتوبـون ويسـتغفرون مـن المعائـب.

وجـه كـون اللـه تعالـى خالقًـا لأعمـال العبـاد: دلّـت النصـوص من الكتـاب والسُّـنَّة علـى أن اللـه تعالـى خالـق العباد، وخالـق أعمالهـم، فإنه الخالـق وحـده لا خالـق غيـره ولا رب سـواه، قـال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، أي: أن اللـه تعالـى خلقكـم فأحسـن خلقكـم وكملـه، ومـن ذلـك أنـه جعلكـم مريديـن للأعمـال، أي مختاريـن قادرين علـى ما شـئتم منهـا، فخلق فيكـم الإرادات والقُـدَر التي تقع بهـا أعمالكم، وجعلكـم مختارين: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [هود: ٧]، وبهذا كان سـبحانه خالقًـا لأعمـال العبـاد، أي: إنه خلق الأسـباب التي تقع بواسـطتها

(١) رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).
(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).

الأعمال، وهي الإرادات والقدر، فإن كل عمل من فعل أو ترك لابد لتحقّقه من إرادة يتم بها اختياره وقصد مباشرته، وقدرة يتحقق بها فعله، وهذا محل الثواب والعقاب، فإنما يُثاب المرء على إرادته الخير، وفعله ما استطاع منه، ويعاقب على قصده الشر ومباشرته له، وذلك كسبه وعمله الذي يجزي عليه، ولهذا شرع لهم الدين المتضمن:

١- دلالتهم على الطاعات وترغيبهم فيها بذكر ثوابها العاجل والآجل.

٢- تنبيههم على السيئات وأنواع المخالفات، وتحذيرهم منها، وزجرهم عنها بذكر العقاب عليها في الدنيا والآخرة.

٣- وما سكت الله عنه فهو المباحات التي لا يترتب على مباشرتها ثواب، إلا إذا اقترنت بالنية الصالحة، ولا يعاقب عليها إلا بنية السوء.

ودلت النصوص من الكتاب والسُّنَّة على:

١- أن على العبد أن يتمثل أوامر الله ﷻ ما استطاع.

٢- أن يجتنب ما نهاه الله عنه مطلقًا.

٣- أن العبد لا يُؤاخذ بالخطأ والنسيان.

٤- وإذا أُكره فلا إثم عليه ما دام قلبه مطمئنًا بالإيمان.

٥- وما عجز عنه فلا يجب عليه بل يسقط، قال ﷻ: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٦- وأن العبد إنما يجزي على ما أراده وباشره بمحض اختياره من طاعة أو معصية، فمن أطاع فهو أهل للثواب، ومن عصى فهو محل للعقاب، ومن تاب فإن الله تعالى يتوب على من تاب.

ولهذا أخبر تعالى أنه خلق أعمال العباد لأنه سبحانه خلقهم وخلق فيهم الأسباب، أي: الإرادات والقدر التي تقع بها أعمالهم، وأضاف سبحانه أعمالهم إليهم ورتّب عليها الجزاء، لأنهم أرادوها وباشروها بمحض اختيارهم، ولهذا قال ﷻ: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ [الإنسان: ٣]، وقال ﷻ: ﴿ **مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال ﷻ: ﴿ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى** ﴾ [النجم: ٣١].

إثبات دوام إرادة الله ﷻ وفعله:

١- دلت النصوص القطعية من الكتاب والسنة على أن الله ﷻ كان وما زال ولن يزال متصفًا بالفعل حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، كما قال ﷻ: ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال ﷻ: ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ [هود: ١٠٧]، فالقدر على الفعل أزلًا وحالًا وأبدًا من صفات كماله.

٢- والفعل من لوازم الحياة، والرب ﷻ حي حياة كاملة لم يسبقها عدم، ولا يعتريها نقص، ولا يعقبها فناء؛ بل هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، فالفعل من لوازم الحياة وهو قيوميته بتدبير خلقه

وملكه.

٣- وأفعال الله ﷻ كصفاته قائمة به، ولولا ذلك لم يكن فعالًا ولا موصوفًا بصفات الكمال، فإنه تعالى يفعل بإرادة ومشيئة، فإذا أراد فعل شيء فعله، فلا يمنع مانعٌ، ولا يمتنع منه شيء.

وأفعاله تعالى نوعان:

أ- أفعالٌ لازمةٌ تتعلق بذاته كالاستواء والنزول والمجيء والإتيان ونحوها، فَتُثْبِتُ له سبحانه على الوجه اللائق بجلاله، كما أخبر عن نفسه، وأخبر عنه نبيه ﷺ الذي هو أعلم الخلق به، ولا يعلم كيفية ذلك إلا هو سبحانه.

ب- أفعال تتعلق بخلقه تتعدى إلى مفعول، مثل: خَلْق، رَزْق، هَدى، أَضل، وقد دلّت على ذلك النصوص الكثيرة التي لا تحصى، الدالة على أن هذه أفعال له حقيقة ليست مجازًا ولا كأفعال خلقه؛ بل هي أفعال تليق به، كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، قيل في تفسير ذلك: يجبر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويفك أسيرًا، ويلطف بوليه، ويحكم بعدله في عدوه، وهكذا[١].

٤- ولأنه تعالى كما أخبر بذلك عن نفسه فقد ساقه مساق المدح والثناء بفعله على نفسه، وأن ذلك من كماله، فلا يجوز أن يكون سبحانه

(١) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٠٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٣٠).

فاقـدًا لكمال فـي وقت من الأوقـات أو حال مـن الأحوال.

٥- وأيضًـا فـإن إرادته وفعلـه متلازمان، فمـا أراد أن يفعلـه فعله، وما فعلـه فقـد أراده، بخـلاف المخلـوق الذي قد يريـد ولا يفعل، وقـد يفعل ما لا يريـد، فمـا ثَمَّ فعّال لمـا يريـد إلا الله وحده.

٦- وإرادته ﷻ نوعان:

أ- إرادة متعلقـة بفعله هو سـبحانه، فهذه بحسـب الأفعـال، فكل فعل لـه إرادة تخصـه، فكمـا أن أفعاله متعددة فكذلـك إرادته متعددة.

ب- إرادة متعلقة بالعبد، وهذه أيضًا نوعان:

الأولـى: إرادة أن يجعـل العبد فاعـلًا فيكون كذلك ولابـد، لأن ذلك متعلق بـالإرادة الكونية.

الثانيـة: إرادة الفعـل مـن العبـد، وذلـك قـد يتحقـق من العبـد وقد لا يتحقـق، وذلـك متعلق بـالإرادة الشـرعية.

بيـان المشـيئة والإرادة: لا يتـم الإيمـان بالقـدر حتـى يؤمـن العبـد بمشـيئة اللـه النافـذة، وقدرتـه الشـاملة، وأن ما شـاء اللـه كان، وما لـم يشـأ لـم يكـن، والمشـيئة والإرادة متقاربتـان في المعنـى، وكلاهمـا من صفات الأفعـال، فاللـه تعالى لـم يزل مريدًا بـإرادات متعاقبـة، فنـوع الإرادة قديم، وآحادها متجددة، فيريد الشـيء المعين في وقتـه، قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقـال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

إلا أن الإرادة إرادتان:

الأولى: إرادة كونية قدرية: تتعلق بما يريد أن يفعله هو سبحانه، فهذه ترادف المشيئة تمامًا في المعنى، وهي أن كل ما حدث ويحدث وما سيحدث في الملكوت عُلويّه وسُفليِّه، وما بينهما، من حركة أو سكنة أو طاعة أو معصية أو خير و شر أو وجود أو عدم؛ فكل ذلك واقع وحادث بإرادة الله الكونية، ومشيئته العامة، وله في ذلك الحكمة التامة والحجة البالغة، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، لأن الملكَ مُلكه والخلق خلقه، وهو يدبر ملكه كما يشاء، لا رادَّ لحكمه، ولا معقب لقضائه.

ومن ميزات هذه الإرادة:

١- أنها متعلقة بفعله ﷻ.

٢- أنها كونية، أي: متعلقة بالخلق والتكوين.

٣- أن المراد بها لابد أن يقع.

٤- قد يكون المراد بها محبوبًا لله تعالى، وقد لا يكون محبوبًا.

الثانية: إرادة دينية شرعية: تتعلق بأمره ونهيه الشرعي الذي تعبّد به العباد، وهو ما يريد من العباد أن يفعلوا له سبحانه، فكل ما شرعه فهو يحبه، فما أمر به فهو يحب من عباده فعله ما استطاعوا، وما نهى عنه فيحب من عباده تركه.

ومن ميزات هذه الإرادة:

١- أنها دينية وشرعية.

٢- أنها متعلقة بأفعال العباد.

٣- أن المراد بها محبوب لله تعالى قطعًا.

٤- أن المراد بها قد يقع وقد لا يقع، لأنه محل ابتلاء المكلفين.

والمرادة بهذه الإرادة نوعان:

١- مراد يحبه ويرضاه، ويمدح فاعله عليه ويواليه، وهو طاعته، فمن أطاعه كان أهلًا لثوابه.

٢- مراد يبغضه ويكرهه، ويذم فاعله ويعاديه، وهو معصيته، فمن عصى الله كان أهلًا لعقوبته، فإن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه.

ولا يكون من العباد في الحالين إلا ما سبق به علم الله وجرى به قلمه، ولكن الله غيّب القدر عنهم فلا يعلمون عنه حتى يقع ليباشروا أعمالهم بإرادتهم وقدراتهم، وابتلاهم ليظهر مرادهم واختيارهم الذي يستحقون الجزاء عليه فإنه هو كسبهم واكتسابهم الذي اختاره بمحض إرادتهم من غير جبر عليه وسعوا إليه حريصين على تحقيقه من غير التفات منهم للقدر أو علم به، فالمطيع أراد الطاعة، والعاصي أراد المعصية، فكلاهما أراد وهو لا يدري هل يتحقق له المراد أم لا، وبهذا تظهر نتيجة الابتلاء، فيكون المحسنون مستحقين للثواب، والمسيئون مستحقين للعقاب، بموجب أعمالهم التي أرادوها وسعوا لها وباشروها،

مختارين قاصدين غير عالمين بما سبق به القدر، فمريد الطاعة موفَّقٌ ينبغي له أن يلزمها ويشكر، ومريد المعصية موبق، واجبه أن يتوب ويستغفر، والإرادة والأعمال والأقوال هي التي تُكتب في صحف الأعمال، وهي محصاة معلومة لله تعالى، فيُجزون على ما في صحف الأعمال لا على ما سبق به علم ذي العظمة والجلال ﷻ.

وإجمالًا: هو التصديق التام والاعتقاد الجازم بأن الله تعالى قد علم بعلمه الأزلي ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ -الذي هو الذكر- وأنه لا يكون وجود ولا عدم ولا حركة ولا سكنة ولا فعل ولا ترك إلا بمشيئة الله تعالى وخلقه فكما أنه تعالى لا يغيب عن علمه شيء فلا يخرج عن مشيئته أمر، ولا يفوته أو يعجزه شيء، فإنه تعالى بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وخالق كل شيء ومالك الملك ومدبره ومن فيه على وفق ما سبق به علمه وجرى به قلمه واقتضته حكمته ومضت به مشيئته لا خالق غيره كما لا رب سواه، فإن القدر قدره الرب، ونظام الملك وسر الله تعالى في الخلق، فما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن وقد ابتلى العباد بأمر ونهي ويسر وبشر وأنذر ليظهر واقعًا أيهم أحسن عملًا، ومن هو أهل لكرامته في الدنيا والأخرى ولم يكلف نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وإليه المنتهى والرجعى، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.



(المتن)

## الْأَصْلُ الثَّالِثُ

## الإِيمَانُ بِاليَوْمِ الآخِرِ

فَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ مِن الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، كَأَحْوَالِ الْبَرْزَخِ، وَأَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْحِسَابِ، والثَّوَابِ، والْعِقَابِ، والشَّفَاعَةِ، والْمِيزَانِ، والصُّحُفِ الْمَأْخُوذَةِ بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ، والصِّرَاطِ، وَأَحْوَالِ الْجَنَّةِ والنَّارِ، وَأَحْوَالِ أَهْلِهِمَا، وَأَنْوَاعِ مَا أَعَدَّ الله فِيهِمَا لِأَهْلِهِمَا إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا. فَكُلُّ بِذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

(التعليق والشرح)

وهو الإيمان بما أخبر الله تعالى به ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من أهوال البرزخ وأهوال مواقف القيامة من البعث والحشر والقضاء بين الخلق والحساب والكتب والموازين والحوض والصراط والقنطرة وأمر الشفاعة والجنة والنار وأحوال الناس في تلك المواقف إلى أن يستقر أهل كل دار في دارهم إلى غير ذلك مما أبدى الله تعالى وأعاد بشأنه في القرآن أو صح عن النبي ﷺ وأجمع عليه الصحابة

والتابعون وأتباعهم بإحسان وكان معلومًا من دين الإسلام بالضرورة بل اتفق على جملته أهل جميع الرسالات السماوية.

ونؤمن بأن ختام حياة كل شخص في هذه الدنيا معالجة النزع، ومعاناة سكرات الموت، ومفارقة الروح الجسد وهو الموت، قال ﷻ: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، وقال المعصوم ﷺ: «إن للموت سكرات اللهم أعني على سكرات الموت» وقالت فاطمة رضي الله عنها -وقد رأت ما يعانيه النبي ﷺ من شدة الموت وكربته-: واكرب أبتاه؛ فقال ﷺ: «ليس على أبيكِ كرب بعد اليوم»[١].

فتضمن ذلك إقراره ﷺ بسكرات الموت وشدته، وذلك هو المطلع الذي يجعله الله ﷻ تكفيرًا لخطيئات المؤمنين، ورفعة لدرجات المحتسبين، وأجرًا عظيمًا للصابرين.

تعريف اليوم الآخر: اليوم الآخر هو يوم القيامة، يوم البعث والقيام لرب العالمين، سُمي اليوم الآخر لأنه يأتي بعد هذه الدنيا، ويسمى يوم القيامة لقيام الناس فيه لرب العالمين، وله أسماء عديدة، كل اسم يدل على حدث فيه أو حال من أحوال الناس فيه، وكلها تدل على عظمة شأنه وخطورة إنكاره والكفر به، وفيها تذكير بأهواله وتنبيه على الاستعداد له.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٦٢).

منزلة الإيمان باليوم الآخر: الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان، وغالبًا يذكر هو الخامس منها، وقد دلّت النصوص على فلاح من آمن به وعمل له -مخلصًا لله تعالى بما شرع-، وعلى كفر من أنكره وجحده، قال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

كيفية الإيمان باليوم الآخر: الإيمان باليوم الآخر هو التصديق بمجيئه وما يكون فيه والحكمة منه على النحو الوارد في الكتاب والسنة، فيتضمن الإيمان باليوم الآخر أمورًا لا يتحقق الإيمان به إلا بالتصديق بها واعتقادها والعمل بمقتضاها، وهي:

١- كيفية مجيء الملائكة إلى من حضره الموت، وكيفية قبض روحه، وأين يذهب بها بعد ذلك.

٢- السؤال في القبر -أو فتنة القبر-، وما جاء في صفته ونتيجته التي تترتب عليه، فيكون عليها مستقبل الميت.

٣- حال الميت في القبر ومدة لبثه فيه، وعلاقة روحه بجسده، وما جاءت به النصوص من نعيم المُثَبَّتِين وعذاب المُضَلِّين.

٤- أشراط الساعة وعلاماتها الكبار والصغار.

٥- البعث، وهو إحياء الموتى بالنفخ في الصور، فتعاد الأبدان،

وتنفـخ فيهـا أرواحهـا، وتنشـق عنها القبـور، ويقـوم الناس لـرب العالمين.

٦- الحشـر، وهـو جمع النـاس في موقـف القيامة في موقـف واحد، وصفتـه وحال النـاس فيه.

٧- الحسـاب، وهـو العـرض علـى اللـه تعالـى، وتقريـر المؤمنيـن، ومناقشـة الكافريـن كل بعملـه.

٨- الكتب وصحف الأعمال وكيفية أخذ الناس لها.

٩- الموازين وصفتها ونتيجتها.

١٠- الحوض وصفته، وصفة الورود عليه، ومن يطرد عنه.

١١- الصراط وصفته، وحال مرور الناس عليه.

١٢- الشفاعة وأنواعها.

١٣- الإيمـان بالجنـة والنـار، ومـا جـاء مـن صفتهمـا وحـال أهلهما فيهمـا، وأنهمـا المـآل الأبـدي للجـن والإنس.

الحكمـة مـن مجـيء اليـوم الآخـر: لمجـيء اليـوم الآخـر حكـم تضمنت الإشـارة إليهـا بعض الآيـات المحكمات كقولـه ﷻ: ﴿لِيُبَيِّـنَ لَهُمُ الَّـذِي يَخْتَلِفُونَ فِيـهِ وَلِيَعْلَـمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُـمْ كَانُوا كَاذِبِيـنَ﴾ [النحل: ٣٩]، وقـال ﷻ: ﴿لِيَجْـزِيَ الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَـاتِ أُولَئِكَ لَهُـمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيـمٌ﴾ [سبأ: ٤] إلـى قوله تعالـى: ﴿وَيَرَى الَّذِيـنَ أُوتُوا الْعِلْـمَ الَّذِي أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّكَ هُـوَ الْحَقَّ وَيَهْـدِي إِلَى صِـرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ:

٦]، ويمكـن إجمـال تلـك الحكـم بالآتي:

١- إثبـات صـدق مـا أخبـرت بـه الرسـل ﷺ، ونطقت بـه الكتب من أمـره وما يكـون فيه.

٢- بيـان تصديـق أهـل العلـم والإيمـان الذين صدقـوا بـه وعملوا له ودعـوا إليه علـى منهـاج النبيين والمرسـلين.

٣- ظهـور كـذب الكفـار فيمـا أنكـروه وأعرضـوا عنـه، وخسـارتهم فيه .

٤- الحكم بين الخلق بالحق، وأداء الحقوق إلى أهلها.

٦- جـزاء المحسـنين بالإحسـان، والمسـيئين بمـا علمـوا، فاقتضت حكمـة اللـه ﷻ أن يجعل للخلق معـادًا يبعثون فيه، ثم يـردون إليه ليجازيهم علـى مـا كلّفهـم به على ألسـنة رُسـله، ومـا أنـزل إليهم مـن كتبه، قـال ﷻ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنـون:١١٥].

أحـوال البـرزخ: ونؤمـن بـأن هنـاك حيـاة برزخيـة للميـت فـي قبره، فقبـره إمـا روضـة مـن ريـاض الجنـة، أو حفـرة مـن حفـر النار.

ونظـرًا لاتفـاق أهـل القبلـة علـى الإيمـان بجملـة أشـراط السـاعة، ووفـرة المصنفـات مـن أهـل العلم فيهـا قديمًـا وحديثًا، فسـأترك الإشـارة إلـى هـذه الأشـراط، وأشـير إلـى مـا بعد المـوت مـن نعيـم القبـر وعذابه، وذلك:

١- لوجود من أنكر ذلك.

٢- ولمسيس الحاجة إلى تذكير المسلمين به.

٣- ولأن القبر أول منازل الآخرة، فإن الإيمان بما ثبت في النصوص من أحوال الناس في البرزخ بعد الموت إلى قيام الساعة من تحقيق الإيمان باليوم الآخر.

أ- حقيقة الموت: إن الموت أشد مصيبة تصيب الإنسان في نفسه، كما قال ﷻ: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [المائدة: ١٠٦].

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو يعاني سكرات الموت: «اللهم إني أحستب نفسي عندك، فإني لم اصب بمثلها قط»[١].

وأما الكافر المرتاب فيكون كرب الموت وشدة النزع وهول المطلع نموذجًا لما ينتظره من العذاب الأليم في دار الجحيم، نسأل الله حسن الختام، ومغفرة الذنوب والآثام، والنجاة من النار، والفوز بالجنة دار السلام.

والموت هو مفارقة روح ابن آدم لجسده إذا استكمل أجله بأي سبب قدّره الله ﷻ، ومفارقة الروح للجسد ليس فناءً للروح، ولكنه انفصالٌ لها عن البدن بأمر الله تعالى، وليس انفصالًا نهائيًا؛ بل لها به نوع اتصال الله أعلم بكيفيته وحقيقته، وتكون أمور البرزخ على الروح

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٤٠).

أصلًا والبدن تابع لها، حتى ولو تلاشى واضمحل وصار رفاتًا أو ترابًا، أو تلف بحرقه أو نحوه وذري في الهواء ولم يبق له بقية فإن الروح تبقى وهي التي تتعرض للعذاب أو النعيم ويصل البدن حظه من ذلك بقدر الله تعالى، فإن الله ﷻ على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، وقد قال ﷻ: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ [ق: ٤].

ب- الفتنة في القبر: ونؤمن بأهوال القبور، وأحوال البرزخ على ما جاءت به النصوص الدالة عليه، كما أخبر النبي ﷺ بأن الميت: «يمتحن في قبره بعد أن ينصرف الناس عنه، ويُقعد ويُسأل من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟».

فأما المؤمن فيثبته الله، ويقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ.

فيقال: كيف عرفت ذلك؟

فيقول: قرأت القُرآن، وعملت بما فيه.

فيقال: نم قد علمنا إن كنت لمؤقنًا، فيفسخ له في قبره مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة، ويأتيه من روحها وريحانها، ونعيمها.

فيقول: ربِّ أقم الساعة، مشوقًا إلى مقعده في الجنة.

وأما الكافر أو المرتاب فيقول: هاه .. هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

فيقال: لا دريت ولا تليت؛ فيضرب بمرزبة من حديد فيصرخ صرخة يسمعها من يليه، إلا الثقلان، ولو سمعوها لفزعوا ويفتح له باب إلى النار؛ ويأتيه من سمومها وعذابها.

فيقول: ربي لا تقم الساعة. لعلمه أن ما بعدها أشد عذابًا وأعظم نكالًا.

ثم يبقى أهل القبور في قبورهم إلى قيام الساعة.

المؤمن منعم، والمرتاب الكافر معذب[1].

فيجب الإيمان بما دلّت عليه الأحاديث من أمر الملكين الفتّانين الموكلين بسؤال الميت في القبر، وصفتهما وسؤالهما، وكيفية ذلك، وما يجيب به المؤمن وما يجيب به المنافق، وما يعقب ذلك من النعيم والعذاب، على التفصيل الذي جاءت به الأحاديث، ومن ذلك ما روي: «إذا قُبر الميت -أو قال: أحدكم- أتاه مَلَكَان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: منكر، ولآخر: نكير ...» إلخ[2].

وقد دلت النصوص الواردة في إثبات نعيم القبر وعذابه على الفتنة فيه قبل ذلك، وهي السؤال للميت: «من ربك، وما دينك، ومن نبيك» على أصل الفتنة، فيثبت الله من يشاء، وهو الذي ينعم في قبره،

---

(١) أصل الحديث رواه مسلم (٢٨٧١)، ورواه بتمامه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٣٤).

(٢) رواه الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان (٧٨٠). قال الترمذي: حديث حسن غريب. وصححه ابن حبان.

ويضل من يشاء، وهو الذي يعذب في القبر إلى ما شاء الله.

ج- نعيم القبر وعذابه: اتفق أهل الحق على ما دلّت عليه النصوص من أن نعيم القبر وعذابه حق، وأنه يكون للروح والبدن جميعًا، وهو مترتب على فتنة القبر والسؤال فيه، فمن ثبّته الله نُعِّم، ومن ضلَّ عُذِّب. فنعيم الروح أو عذابها:

يكون متصلًا بالبدن «تارة» فيكون النعيم أو العذاب عليهما جميعًا.

كما أنه قد يكون النعيم أو العذاب للروح منفصلة عن الجسد، فيكون النعيم أو العذاب للروح وحدها تارة أخرى، ولها مع الجسد تارة أخرى، بحالٍ يعلمه الله ﷻ.

د- أدلة نعيم القبر وعذابه:

١- فمن أدلة القُرآن على نعيم القبر وعذابه، قوله ﷻ: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩].

٢- ومن الأدلة قوله تعالى عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

قال ابن كثير ؒ: «وَقَدِ اسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْبَرْزَخِ»[١].

وقال القرطبي ؒ: «وَالْجُمْهُورُ عَلَى أن هذا العرض في البرزخ. احتج

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٦).

بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَثْبِيتِ عَذَابِ الْقَبْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾»[١].

٣- ومن الأدلة كذلك على عذاب القبر، قوله تعالى عن الكفار: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]. قال مجاهد: أي: «بالجوع وعذاب القبر»[٢]، قال: «ثم يردون إلى عذاب عظيم يوم القيامة، وقد استدل بهذه الآية والتي قبلها البخاري» في ترجمة الأحاديث في عذاب القبر»[٣].

٤- ومن الأدلة حديث البراء، وفيه قال ﷺ في المؤمن: «فينادى منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من ريحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره ...»[٤] الحديث.

٥- ومن الأدلة ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن من أهل النار فمن

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٨).
(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٢).
(٣) صحيح البخاري (٢/ ٩٨).
(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧ - ٢٩٥، ٢٩٦)، وأبو داود برقم (٤٧٥٣)، والنسائي (٢٠٥٨) مختصرًا، وابن ماجه (٤٢٦٩) مختصرًا، وصححه الحاكم (١/ ٣٧، ٤٠). وحسّنه الأرناؤوط في تحقيق شرح السنة (٥/ ٤١٧).

أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[١].

٦- وكذلك ما ثبت في صحيح مسلم رحمه الله عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يسمعكم عذاب القبر»[٢].

٧- وما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في صاحبي القبرين: «إنهما ليُعذبان»[٣].

٨- وكذلك ما جاء أن عامّة عذاب القبر من البول[٤]، يعني: من الاستهانة به، وعدم التنزّه والتحفظ منه.

٩- وكان النبي ﷺ يعوّذ من عذاب القبر[٥].

١٠- وقد أجمع المسلمون على إثبات عذاب القبر ونعيمه، ولم ينكره إلا من لا فقه له ولا أثر لخلافه.

فقد أنكر الملاحدة والفلاسفة ومن اتبعهم ومن أهل الكلام عذاب القبر بدعوى عدم مشاهدته في الدنيا، ويُردّ عليهم بما يلي:

الأول: دلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف عليه.

الثاني: أن أحوال الآخرة لا تُقاس بأحوال الدنيا.

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦). عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) رواه مسلم (٢٨٦٨).
(٣) رواه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٦٢).
(٤) رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٥١٩٤)، والطبراني في الكبير (١١١٠٤)، والدارقطني في سننه (٤٦٦)، والحاكم في المستدرك (٦٥٤).
(٥) رواه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦، ١٢٦).

الثالث: وجود أشياء في الدنيا لا تُشاهد مثل: العقل والروح والكهرباء، فكل هذه يقرّ العقلاء بوجودها ويؤمنون بأثرها مع أنهم لم يشاهدوها على هيئتها، فما أخبر الله تعالى به من أمور الغيب في البرزخ والآخرة وفوق السموات أولى أن يُصدق به ويقرّ بوجوده، ولو لم يشاهد، ذلك بأن الله هو الحق المبين.

ذكر مهمات مما يكون في اليوم الآخر:

الأول: البعث:

١- تعريف البعث:

البعث لغة: التحريك والإثارة والنشر والإرسال[١].

واصطلاحًا: هو إخراج الناس أحياءً من قبورهم، وإرسالهم إلى موقف الحشر، لحسابهم والقضاء بينهم وجزائهم[٢].

٢- حكمته ومنزلته:

يجب الإيمان (وهو التصديق والاعتقاد الجازم) بأن الله ﷻ يبعث الناس من قبورهم أحياء يوم القيامة، على الصفة التي جاءت بها النصوص؛ ليجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بعمله، أو يعفو عنه.

والإيمان بالبعث والجزاء من أعظم أصول الإيمان، فإن الله تعالى

(١) ينظر: العين (٢/ ١١٢)، تهذيب اللغة (٢/ ٢٠١)، الصحاح تاج اللغة (١/ ٢٧٣).
(٢) ينظر: الكليات (ص: ٢٤٤)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (١/ ١٧٠)، البيان لأركان الإيمان للشيخ عبد الله القصير.

يجمع (بقدرته) ما تفرق من أجساد الأموات التي تحللت، ثم يعيدها كما كانت، ثم يعيد الأرواح إليها، ثم يشق الأرض عنها، يسوقها إلى المحشر للقضاء بينهم بالحق وجزائهم على أعمالهم.

٣- من الأدلة على البعث:

ولقد أقام الله تعالى الحجج والبراهين على صحة البعث وتحقيق وقوعه من وجوه متعددة، فمن أدلته:

أ- قول الله ﷻ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

ب- ومن السُّنّة قوله ﷺ: «إذا أراد الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بُعثوا على أعمالهم»[1]، وقوله ﷺ: «يُبعث كل عبد على ما مات عليه»[2].

ج- ومما استدل الله به على قدرته على بعث الأموات بعد موتهم:

إحياء الأرض بالمطر بعد موتها.

إحياء بعض الأموات في الدنيا كإحياء قتيل بني إسرائيل بعد ضربه بعظم من بقرة أُمروا بذبحها لذلك، وإحياء الذي مرَّ على قرية

(١) رواه مسلم (٢٨٨٢).
(٢) رواه مسلم (٢٨٧٨).

بعـد موتهـا، وإحيـاء أهـل الكهـف، وتلـك الأمثلـة مذكـورة فـي القُرآن.

أن الـذي ابتـدأ الخلـق علـى غيـر مثال سـبق قـادر علـى إعادتـه، فإن الإعـادة أهـون مـن الابتـداء، والكل علـى اللـه هيِّن.

فدلّـت النصـوص علـى أن اللـه ﷻ يعيـد الأجسـاد نفسـها فيجمـع رفاتهـا المتحلّـل ويخلقهـا فـي أماكنهـا فـي القبـور أو فـي أي مـكان كانت حتـى تعـود كمـا كانت فيعيـد إليها أرواحهـا إذا تـم خلقها، فسـبحان من لا يُعجـزه شـيء وهـو علـى كل شـيء قدير.

٤- بيـان كيفيـة البعـث: وفي بيـان كيفيـة البعث جاء حديـث؛ أخرجه الشـيخان أن رسـول الله ﷺ قـال: «ما بيـن النفختيـن أربعون». قالـوا: يا أبا هريـرة، أربعـون يومًـا؟ قـال: أبيـتُ. قـال: «ثـم ينـزل الله مـاءً فينبتـون منه كمـا ينبـت البقـل، ليـس من الإنسـان شـيء إلا يبلـى إلا عظمًا واحـدًا وهو عجـب الذنـب -آخـر عمود الظهـر- ومنـه يركّـب الخلـق يوم القيامـة»[١].

فـدلّ الحديـث علـى كيفيـة البعـث، وأن أهل القبـور والموتـى يبقون بعـد النفخـة التـي فيها الصعقـة وقبل نفخـة البعـث أربعين، جـاء في بعض الروايـات أنهـا أربعون سـنة، والنفختـان هما:

١- نفخـة الفـزع والصعـق، وهـي التـي تكـون بهـا إماتـة الأحيـاء وخـراب هـذا العالـم.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

٢- نفخة البعث من القبور وإرسالهم إلى موقف الحشر.

فإذا أراد الله بعث الخلائق أنزل من السماء ماءً -جاء في بعض الروايات صفته أنه كمني الرجال- فينبت أهل القبور من ذلك الماء، فإذا تم خلقهم نفخ في الصور النفخة الثانية، فطارت أرواحهم إلى أجسادهم، وانشقت الأرض عنهم، فخرجوا من قبورهم سراعًا: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٧، ٨].

فأول يوم القيامة النفخ في الصور نفخة الفزع والصعق، ثم نفخة البعث التي تعود فيها الأرواح إلى الأجساد فتحيا، ثم تُحشر الخلائق إلى رب العباد، والصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام[(١)].

وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن صاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ»[(٢)].

وقد جاء في صحيح مسلم عن يوم الجُمُعة أن فيه تقوم الساعة[(٣)].

وفي سُنن النسائي عن أوس بن أوس الثقفي مرفوعًا: «إن أفضل أيامكم يوم الجُمُعة فيه الصعقة، وفيه النفخة الثانية»[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦).

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ٧)، والترمذي (٢٤٣١)، (٣٢٣٨)، وابن ماجه برقم (٤٢٧٣). وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٧٩): حسن لغيره، وصححه الأرناؤوط في شرح السُّنَّة (١٥/ ١٠٣).

(٣) رواه مسلم (٨٥٤) (١٨).

(٤) رواه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٣) بنحوه، وابن ماجه (١٠٨٥)، والمشكاة (١٣٦١)، والتوسل (ص: ٦٣)، وصحيح الجامع (٣٨٩٥).

عدد مرات النفخ في الصور:

النفخ في الصور مرتان:

الأولى: تبدأ بالفزع وتنتهي بالصعق لجميع الخلق إلا من شاء الله ﷻ.

الثانية: نفخة البعث فتعاد الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين، ويدل على ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

٢- وثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الحديث الطويل، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «ثم يُنفخ في الصور فلا يسمع أحدٌ إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، ثم لا يبقى أحدٌ إلا صُعق، ثم يُنزل اللهُ مطرًا كأنه الطل أو الظل -شك الراوي- فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»[1].

الثاني: الحشر:

ويحشرون إلى موقف الحشر؛ فيجمعون في صعيد واحد يسمعهم

(١) جزء من حديث رواه مسلم (٢٩٤٠).

الداعـي؛ وينفذهـم البصـر؛ ويصيبهم مـن الكـرب، والهول مـا لا يطيقون، ولا يحتملون.

١- تعريف الحشر:

الحشر لغةً: الجمع[١].

وشـرعًا: جمـع الخلائـق بعـد إحيائهم في موقـف الجمع يـوم القيامة لحسـابهم والقضاء بينهم[٢].

٢- من الأدلة على الحشر:

(١) قوله جل جلاله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

(٢) وقولـه جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعـة: ٤٩، ٥٠].

(٣) وقولـه عز وجل: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

(٤) وجـاء فـي الحديـث الصحيـح عـن النبـي ﷺ: «إن اللـه تعالـى يجمـع الأوليـن والآخريـن فـي موقـف واحـد يسـمعهم الداعـي وينفذهم البصـر، وأنهـم يصيبهـم في ذلـك الموقـف من الأهـوال مـا لا يطيقون ولا

(١) مجمل اللغة (ص: ٢٣٦)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢١٣)، المصباح المنير (١/ ١٣٦).

(٢) ينظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٢/ ٢٥)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ٦٧٥)، البيان لأركان الإيمان للشيخ عبد الله القصير.

يحتملـون، حتـى يسـعى بعضهـم فـي طلـب الشـفاعة ليخلصـوا مـن هول ذلـك الموقف لشـدته عليهـم»[١].

(٥) فـي الصحيـح أن النبي ﷺ قـال: «يا أيها الناس إنكم لمحشـورون حُفـاة غُـرلًا، ثـم قـرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وأول مـن يُكسـى إبراهيـم عليه السلام»[٢].

(٦) وقـال ﷺ: «يُحشـر النـاس يـوم القيامـة عراة غـرلًا بُهْمًـا»[٣]، أي ليـس معهم شـيء.

(٧) وقـال ﷺ: «يُحشـر النـاس يـوم القيامة علـى أرض بيضـاء عفراء كقرصة نقـي»[٤].

الثالث: الحساب:

١- تعريف الحساب:

الحسـاب لغة: العـدّ والإحصاء[٥]، خفـف الله عنا وعنكـم، وعن كل مسـلم ومسـلمة، ووالدينا أجمعين.

وشـرعًا هـو: إطلاع اللـه تعالى عبـاده علـى أعمالهم قبـل الانصراف

---

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل الذي رواه البخاري (٣٣٦١)، ومسلم (١٩٤).
(٢) رواه البخاري (٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).
(٣) جزء من حديث رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٥).
(٤) رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).
(٥) تهذيب اللغة (٤/ ١٩١)، لسان العرب (١/ ٣١١).

من المحشر خيرًا كانت أو شرًا[١]. قال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، وقال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال ﷻ: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

٢- الأدلة على الحساب:

الحساب ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، والإيمان به أصل من أصول الإيمان:

أ- فمن القُرآن:

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

وقوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩].

ب- ومن السُّنَّة:

ما جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا»، فقالت عائشة: ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه»[٢].

---

(١) ينظر: لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية (٢/ ٢٣٢).

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤).

ج- وأجمع المسلمون على ثبوته يوم القيامة:

والحساب عام للجميع إلا من استثناهم النبي ﷺ، كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وفيه قال ﷺ في أُمَّته: «ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب». فقام عكاشة ابن محصن رضي الله عنه قال: أُدع اللهَ أن يجعلني منهم. فقال: «أنت منهم»[١].

وروى أحمد رحمه الله عن أبي أمامة الباهلي: «إن مع كل ألف سبعون الفًا»[٢].

٣- صفة الحساب ونشر الكتاب:

دلت النصوص الواردة في الحساب على: «أن الله يخلو بعبده المؤمن فيقرّره بذنوبه -أو بعمله- حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله تعالى له: أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته»[٣].

قلت: وفي هذا الحديث أن الحساب قبل أخذ الكتاب، فالكتاب توثيق للحساب لإظهار الفضل والعدل من رب الأرباب، فيقرر بالحساب، ثم يدفع إليه الكتاب ليقرأه فيباهي به أو يتحسر عليه.

وأما الكافرون والمنافقون -نعوذ بالله من حالهم ومآلهم- فينادي

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٤)، ومسلم (٢٢٠) (٣٧٤).
(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٨)، والترمذي (٢٤٣٧).
(٣) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

بهم على رؤوس الأشهاد: ألا لعنة الله على الظالمين.

وأول من يحاسب من الأمم هذه الأمة، لقوله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعًا: «نحن آخر الأمم وأول من يُحاسب..»[٢].

وأول ما يُحاسب به العبد من حقوق الله عز وجل الصلاة؛ لقوله ﷺ: «أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة...»[٣] إلخ. رواه الطبراني وإسناده لا بأس به.

قال المنذري في الترغيب والترهيب: وأول ما يقضى بين الناس -يعني: من حقوق بعضهم على بعض- في الدماء، لقوله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»[٤].

٤- كيفية أخذ صحف الأعمال:

ينصرف الناس إلى أخذ صحف الأعمال؛ فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ

---

(١) رواه البخاري (٨٩٦)، ومسلم (٨٥٥)، و(٨٥٦).
(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٩٠).
(٣) رواه الترمذي (٤١٣)، والنسائي (١/ ٢٣٢)، وأحمد في المسند (٥/ ٧٢، ٣٧٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٣). وصححه الأرناؤوط في جامع الأصول (٧٩٦٤).
(٤) رواه البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (١٦٧٨).

﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩ – ٢٥].

وبعد الحساب تنشر الدواوين، أي: تفتح وتبسط، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه بشماله من رواء ظهره، لقوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ – ١٢]، ويقول خاسئًا حسيرًا: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٦]، وقال ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، فكل قد تحدد مصيره.

الرابع: الميزان:

توزن الأعمال، وقد توزن السجلات وقد يوزن العُمَّال ثم بعد ذلك ينصرفون فأما الكفرة والمشركون في كل أمة فتمثل لهم معبوداتهم التي عبدوها من دون الله كهيئتها يوم عبدوها، ويقال: لتتبع كل أمة من كانت تعبد؛ فتنصرف بهم معبوداتهم ويتبعونها؛ فيتساقطون في النار قال ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

فالميزان أمرٌ حقيقي، له كفتان توزن به أعمال العباد، ولا يعلم كيفيته إلا الله تعالى، قال ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال ﷻ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

فتوزن الأعمال لحديث: «الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله، والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض»[١].

وقد تُوزن صحف الأعمال لحديث البطاقة.

وقد يُوزن العامل، قال النبي ﷺ: «أتعجبون من دقة ساقية؟ لهما في الميزان أثقل من أُحُد»[٢]، وحديث: «يُؤتى بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة»[٣].

فمن ثقلت موازين حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن تساوت حسناته وسيئاته كان من أهل الأعراف بين الجنة والنار، يُؤجل أمره حتى يدخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، ثم تدركه الشفاعة فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته استحق النار، إلا أن يشفع فيه الشفعاء، أو يعفو الله عنه بفضله.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٢٠، ٤٢١).

(٣) رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

الخامس: الورود على الحوض:

أجمع أهل الحق على أن للنبي ﷺ حوضًا في عرصات يوم القيامة، يرد عليه من أجابه واتبعه من أمته، وقد جاء وصفه عن النبي ﷺ: «آنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل»[١].

قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من ريح المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبدًا»[٢].

وقال ﷺ: «ليردنّ عليَّ الحوض أقوام فيُختلجون دوني، فأقول: أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[٣].

السادس: الصراط: المؤمنون حقيقة، أو ظاهرًا ينصب لهم الصراط بين ظهراني جهنم؛ ويؤمرون بجوازه، وأول من يجوزه النبي ﷺ وأمته تتبعه ثم الرسل عليهم الصلاة والسلام كل رسول سابق أمته في الجواز، ثم أممهم بعدهم كل حسب عمله، ونوره قال ﷻ: ﴿نُورُهُمۡ

---

(١) رواه مسلم (٢٣٠٠).

(٢) رواه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٦)، (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٢٩٧)، (٢٣٠٤).

يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ ﴾ [التحريم: ٨].

فناج مخدوش وناج مُسلَّم، ومكردس في نار جهنم، ودعوة الرسل يومئذ: اللهم سلم .. سلم[١].

وقد دلت النصوص من الكتاب والسُّنّة وإجماع سلف الأمة على أن الصراط -وهو الجسر- المنصوب على متن جهنم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، وعليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة، ومن خطفته تلك الكلاليب دخل النار، فيمر الناس عليه على حسب أعمالهم، فإذا عبروا عليه وُقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقضى لبعضهم من بعض، فإذا هُذّبوا ونُقُّوا أُذِن لهم في دخول الجنة.

سابعًا: أمر الشفاعة وأنواعها: يسعى ذوو الجاه بطلب الشفاعة للتخليص من موقف الحشر؛ فيطلبونها من أولي العزم من الرسل، من نوح عليه السلام، ومن بعده منهم، والكل يتخلى عنها لعلمه أنها ليست له.

حتى تنتهي إلى النبي محمد بن عبد الله ﷺ فيقول: «أنا لها .. أنا لها»[٢]، فيستشفع فيهم، ويشفع ويأتي الله ﷻ على ما يليق بجلاله لفصل القضاء؛ فيفصل بينهم بحكمه وهو العزيز العليم.

(١) الحديث رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).
(٢) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

١- تعريف الشفاعة: الشفاعة لغة: من الضم؛ الشافع ينضم إلى المشفوع له في تحصيل مطلوبه(١).

واصطلاحًا: هي سؤال الخير للغير(٢).

وهي في يوم القيامة: السؤال في التخليص من موقف القيامة وأهواله، والسؤال في التجاوز عن الذنوب ومحو السيئات، والنجاة من النار ودخول الجنة، والتخفيف من العذاب، ونيل الثواب وزيادته، ورفعة الدرجات.

أ- دلت الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة على ثبوت الشفاعة يوم القيامة بأنواعها، الخاصة بالنبي ﷺ أو العامة، له ولغيره من الشافعين من خيار عباد الله، ومنها الشفاعة في أهل الكبائر من الأمة، والشفاعة في دخول الجنة، وفي الجنة في رفعة الدرجة وزيادة الثواب على ما جاءت به الآيات والأحاديث.

ب- الشفاعة المثبتة لا تنال إلا بإذنه تعالى، وأما ما نفي من الشفاعة فهو ما كان لمشرك أو كافر، أو كان بغير إذن من الله ﷻ، فلا تنال إلا بعد الإذن والرضا من الله تعالى.

٢- أنواع الشفاعة: ثم تحل الشفاعة فيمن دخل النار، فيناشد المؤمنون ربهم في قراباتهم وذويهم من أهل لا إله إلا الله؛ فيشفعون

(١) تاج العروس (٢١/ ٢٨٧)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٢١٦).
(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٠٤)، حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (ص: ٩١).

فيهم كرامة من الله للشافع، ورحمة منه للمفشوع له، وتتكرر هذه الشفاعة مرارًا حتى لا يبقى في النار من في قلبه أدنى .. أدنى .. أدنى مثقال ذرة من إيمان، ويخرج الله أقوامًا لم يعملوا خيرًا قط بغير شفاعة من شافعين بل برحمة أرحم الراحمين سبحانه، لكن بعد أن طهروا ونقوا من ذنوبهم[1].

حتى لا يبقى في النار إلا من كان خصمه القُرآن.

فيشفع الله من يشاء من خاصة أوليائه، فيمن شاء من عباده إكرامًا من الله للشافع ورحمه منه بالمشفوع له.

ونعتقد أن أعظم الناس شفاعة نبينا محمد ﷺ، ثم إخوانه المرسلون، والنبيون عليهم الصلاة والسلام، ثم الصديقون، والعلماء العاملون، والشهداء والصالحون.

وهي أنواع:

الأولى: الشفاعة العظمى في أهل الموقف: وهي خاصة بالنبي ﷺ، فيشفع لهم ليقضي الله بينهم ويتخلصوا من هول الموقف، وهي من المقام المحمود الذي أُعطيه النبي ﷺ.

الثانية: الشفاعة في قوم استوجبوا النار أن لا يدخلوها: وهذه عامة، وللنبي ﷺ منها أوفر حظ ونصيب، ولإخوانه من المرسلين

(١) الحديث رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

والنبيين والشهداء والصالحين نصيب منها، وتكون قبل الورود على الصراط كما يفهم من الأدلة.

الثالثة: الشفاعة في قوم دخلوا النار من عصاة أهل القبلة أن يخرجوا منها: وهذه تكون بعد مجاوزة الصراط، وهي أيضًا عامة في الشافعين، للنبي ﷺ منها أكبر حظ وأوفر نصيب، ويشركه فيها إخوانه المرسلون والنبيون والصديقون والصالحون فيمن شاء الله من عباده.

الرابعة: الشفاعة في دخول الجنة: وهذه خاصة بالنبي ﷺ، فإنه أول من يستفتح باب الجنة فيُفتح له، ثم يدخل هو وأمته والمرسلون وأممهم بعده -عليهم الصلاة والسلام- جميعًا.

الخامسة: الشفاعة داخل الجنة في رفعة الدرجات وزيادة الثواب: بحيث يُعطى المشفوع له فوق ما يستحقه أو يرفع إلى درجة الشافع فيه، وهي كذلك عامة للمرسلين والنبيين والشهداء وصالحي المؤمنين، وللنبي ﷺ من هذه الشفاعة النصيب الأوفر.

السادسة: الشفاعة في أهل الأعراف: وهو جبل مشرف بين الجنة والنار، يوقف عليه أهل الأعراف، وهم قومٌ تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم ترجح حسناتهم فيدخلون الجنة، ولم تُرجح سيئاتهم فيستوجبوا النار، فيشفع لهم في ترجيح حسناتهم على سيئاتهم فيدخلوا الجنة، وهي عامة في المرسلين والنبيين والشهداء والصالحين، وللنبي ﷺ منها

النصيب الأوفر، وهذه تكون بعد دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار بمدة الله أعلم بها.

السابعة: الشفاعة في أبي طالب خاصة من الكفار: وهي كذلك خاصة بالنبي ﷺ، فيشفع في تخفيف العذاب عنه، حيث يخرجه ﷺ من دركات النار إلى ضحضاح منها[١]، أي: يسير لا يجاوز كعبيه يغلي منه دماغه، وهو أهون الكفرة عذابًا، ولا يخرج من النار؛ لأنه مات على الشرك، والله تعالى قال عن المشركين: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

ثامنًا: الجنة والنار: ونؤمن بأن النار منزلة قبل الجنة، فلا يدخل الجنة إلا من جاوز النار، ونجي منها يقول ﷻ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ويقول ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، يعني النار أجارنا الله وإياكم وأعاذنا ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

ونؤمن أن أول من يستفتح باب الجنة نبي الله محمد بن عبد الله ﷺ، فيُفتح له لا لغيره وأول من يدخل الجنة النبي ﷺ، ثم المرسلون والنبيون، ثم تتبع كل أمة نبيها في دخول الجنة، فإذا دخلوا الجنة، ونزلوا منازلهم؛ وأخذوا أخذاتهم، شفع بعضهم في بعض؛ فيشفع الأعلى في حبيبه، وصديقه ليرفع إلى منزلته ويعطى فوق ما يستحق

(١) الحديث أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

إكرامًا من الله ﷻ للشافعين؛ وفضلًا ومنةً وإحسانًا على المشفوع لهم من المؤمنين.

فيستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

فالمؤمنون فيما اشتهت أنفسهم خالدون، والكافرون في جهنم خالدون، ويقال لأهل كل دار: خلود فلا موت، فيزداد المؤمنون فرحًا، ويزداد الكافرون حسرة، وترحًا.

ونؤمن أن أعظم ما يتنعم به المؤمنون ... اللهج بذكر الله ﷻ فيلهمون التسبيح، والذكر كما يلهم الأحياء في هذه الدنيا النفس قال ﷻ: ﴿ **دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [يونس: ١٠].

ونعتقد أن أعظم ما تلذ به أعينهم النظر إلى وجه الله الكريم، وهو الحسنى والزيادة والمزيد قال ﷻ: ﴿ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ** ﴾ [الفاتحة: ٢٢، ٢٣]، وقال ﷻ: ﴿ **عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ** ﴾ [المطففين: ٢٣].

ونعتقد كذلك أن أعظم ما يعذب به الكفار في دار القرار الحجاب عن الله، وتصلية النار قال ﷻ: ﴿ **كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ** ﴾ [المطففين: ١٥، ١٦].

ونؤمن بأن الجنة والنار موجودتان مخلوقتان معدتان لأهلهما الآن قال ﷻ: ﴿ **وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى**

مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا ﴾ [التغابن: ٩]، وقال ﷻ: ﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا ﴾ [النساء: ٥٦]، وقال ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١].

ومن الإيمان باليوم الآخر: الاعتقاد الجازم والتصديق التام بالجنة والنار، فأهل الحق يعتقدون:

أ- أن الجنة والنار موجودتان معدّتان لأهلهما ولا تفنيان، فالجنة دار كرامة الله أعدها لأوليائه المقربين والأبرار، والنار دار عذابه أعدّها دار هوان لأدائه المشركين والمنافقين والكفار.

ب- وأن أهلهما لا يموتون كما جاء النص فيه، يقال لأهل كل منهما: خلود ولا موت، وكما قال سبحانه عن أهل كل منهما: ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٩]، وأخبر أنهم منها لا يخرجون، ولكن قال سبحانه: ﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر: ٢٠]، وقال ﷻ عن الجنة: ﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤].

وفي حديث الكسوف في الصحيحين: أن النبي ﷺ رأى الجنة حتى كاد أن يتناول عنقودًا منها أو قطفًا، ورأى النار فلم يرَ منظرًا قط

أفظع منها. وفي رواية: «فلم أرَ كاليوم في الخير والشر»[١].

ج- وأن أهل الجنة في نعيم أبدي متجدد، قال ﷻ: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

وقال ﷻ في نعيمهم: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وأن أهل النار في عذاب أبدي سرمدي دائم، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

رؤية الله تعالى يوم القيامة: فمن أصول الإيمان إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة في العرصات وفي الجنة من غير إحاطة لما جاء فيها من الآيات القُرآنية المحكمة والأحاديث النبوية المتواترة وإجماع الصحابة والتابعين عليها وهي من أعظم ثواب الإيمان وأعظم ما يتنعم به المؤمنون في الجنان خلافًا للخوارج والمعتزلة وغيرهم من فرق المعطلة.

---

(١) رواه البخري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).



(المتن)

# الْأَصْلُ الرَّابِعُ

# مَسْأَلَةُ الإِيمَانِ

فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَعْتَقِدُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، مِنْ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ: تَصْدِيقُ الْقَلْبِ الْمُتَضَمِّنُ لِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ.

فَيَقُولُونَ: الْإِيمَانُ اعْتِقَادَاتُ الْقُلُوبِ، وَأَعْمَالُهَا، وَأَعْمَالُ الْجَوَارِحِ، وَأَقْوَالُ اللِّسَانِ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا مِنَ الْإِيمَانِ.

(التعليق والشرح)

الإيمان في اللغة: قال ابن فارس: «للهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان متدانيان ... وأما التصديق فقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ [يوسف: ١٧]، أي مصدِّق لنا»[١].

وقال الأزهري: «وأما الإيمان: فهو مصدر آمن إيمانًا فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين أن الإيمان معناه التصديق ...»[٢].

(١) مقاييس اللغة (١/ ١٣٣).
(٢) لسان العرب (١٣/ ٢٣).

معناه شرعًا: وأما الإيمان فيطلق على الاعتقاد القلبي، والإقرار اللفظي، والعمل الحسي، امتثالًا للأوامر، واجتنابًا للمناهي.

فلابد من الإيمان الجازم والتصديق التام بالله ﷻ، وما جاء عنه، وما يجب له سبحانه، وتحقيق ذلك نيةً وقصدًا وقولًا وعملًا بمقتضى ذلك، وتركًا لما ينقص كمال الإيمان الواجب أو ينافيه ويضادّه، وقد بيَّن الله تعالى أصول الإيمان بقوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وجمعها النبي ﷺ في إجابته على سؤال جبرائيل عليه السلام عندما قال له: ما الإيمان؟ فقال: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1]، فهذه أركان الإيمان، وأصول العقيدة المجملة. وحديث وفد بني عبد القيس، وفيه «هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة ألا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس»[2]، حيث عرف الإيمان في الحديث الأول بالاعتقادات الباطنة، وفي الحديث الثاني بالأعمال الظاهرة، ثم صار الإيمان يطلق ويراد به مسائل الاعتقاد كلها.

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

(٢) أخرجه البخاري (٨٧)، ومسلم (١٧).

فمن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان اعتقاد في القلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، ذلك أن الإيمان الكامل يدخل فيه جميع الدين ظاهره وباطنه أصوله وفروعه.

١- فعقيدة القلب هي ما ينطوي عليه من المعرفة والاعتراف والتصديق.

٢- وعلمه هو محبة الخير وإرادته الجازمة وكراهة الشر والعزم على تركه وهجره، والتوكل والرغبة والرهبة.

٣- وقول باللسان وهو ما يتكلم به من الشهادتين وذكر الله والثناء عليه والدعوة إليه وتعلُّم العلم وتعليمه والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة القُرآن وغير ذلك.

٤- وأعمال الجوارح ما يؤدي من الأعمال كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والبر والصلة وأداء حقوق الله وحقوق عباده، وترك ضد ذلك.

اشتغال الجوارح بالطاعات: إذا عمر الإخلاص قلب العبد، وتحققت أعمال القلوب من محبة الله ورسوله، والتوكل على الله والصبر له، والخوف منه والرجاء فيما عنده، انطلقت الجوارح ولابد في طاعة الله ﷻ، ولا يتخلف ذلك أبدًا، وفي الصحيح: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد

كلـه، ألا وهو القلـب»[١]، فصلاح الظاهـر تابع لصلاح الباطـن في الأصل، والارتبـاط بينهمـا حاصل.

قـال ابـن القيـم رحمه الله: «ومـن تأمـل الشـريعة فـي مصادرهـا ومواردها، علـم ارتبـاط أعمـال الجوارح بأعمـال القلـوب، وأنها لا تنفـع بدونها، وأن أعمـال القلـوب أفـرض على العبـد من أعمـال الجـوارح»[٢].

قـال تعالـى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، «فـلا يجحد عمله ولا يخيب سـعيه؛ بـل يثاب عليه أضعافًـا بحسـب قوة إيمانـه»[٣].

وقـال سـبحانه: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

فمـن أصـول أهـل السـنة والجماعـة أن الديـن والإيمـان اعتقـاد فـي القلـب وقـول باللسـان وعمـل بالجـوارح ذلـك أن الإيمان الكامـل يدخل فيـه جميـع الديـن ظاهـره وباطنـه أصولـه وفروعه.

١- فعقيـدة القلـب هـي مـا ينطـوي عليـه مـن المعرفـة والاعتـراف والتصديـق.

٢- وعملـه هـو محبـة الخيـر وإرادتـه الجازمـة وكراهة الشـر والعزم

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩).
(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٩٣).
(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للشيخ السعدي (ص: ٧٣).

على تركه وهجره، والتوكل والرغبة والرهبة.

٣- وقول اللسان وهو ما يتكلم به من الشهادتين وذكر الله والثناء عليه والدعوة إليه وتعلُّم العلم وتعليمه والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة القُرآن وغير ذلك.

٤- وأعمال الجوارح ما يؤدي من الأعمال كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والبر والصلة وأداء حقوق الله وحقوق عباده، وترك ضد ذلك.



## (المتن)

وَأَنَّ مَـنْ أَكْمَلَهَـا ظَاهِـرًا وَبَاطِنًـا؛ فَقَـدْ أَكْمَـلَ الْإِيمَـانَ، وَمَـن انْتَقَـصَ شَـيْئًا مِنْهَـا؛ فَقَـدِ انْتَقَـصَ مِـنْ إِيمَانِهِ.

وَهـذِهِ الْأُمُـورُ: بِضْـعٌ وَسَـبْعُونَ شُـعْبَةً، أَعْلَاهَـا قَـوْلُ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَـا إِمَاطَـةُ الْأَذَى عَـنِ الطَّرِيـقِ، وَالْحَيَـاءُ شُـعْبَةٌ مِـنَ الإِيمَانِ.

وَيُرَتِّبُـونَ عَلَـى هـذَا الْأَصْلِ أَنَّ النَّـاسَ فِي الإِيمَـانِ دَرَجَـاتٌ: مُقَرَّبُونَ وَأَصْحَـابُ يَمِيْنٍ وَظَالِمُوْنَ لأَنْفُسِـهِمْ بِحَسْـبِ مَقَامَاتِهِمْ مِـنَ الدِّينِ والإِيمَانِ وَأَنَّـهُ يَزِيْـدُ وَيَنْقُـصُ فَمَنْ فَعَـلَ مُحَرّمًا أَوْ تَـرَكَ وَاجِبًـا نَقَصَ إِيْمَانُـهُ الوَاجِبُ مَـا لَـمْ يَتُبْ إِلَـى اللهِ.

## (التعليق والشرح)

زيـادة الإيمـان ونقصانـه: القول بزيـادة الإيمـان بالطاعـات ونقصانه بالسـيئات وهـو المأثور عـن الصحابة والتابعيـن وجمهور السـلف، وذلك لنـص القـرآن علـى زيادتـه وللعلـم بـأن الإيمـان يتفاضـل فـي القلـوب بحسـب تفاضـل النـاس فـي العلـوم والأعمـال والقـوة والضعـف ودلالـة السـنة الصحيحـة علـى نقصه:

١ - حديـث: «أخرجـوا مـن النـار مـن كان فـي قلبـه مثقـال ذرة مـن

إيمـان».

٢- حديث: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين ...» إلخ.

٣- أن الشـرع جـاء بجلـد الزاني البكر والشـارب والقـاذف وقطع يد السـارق وهـذا ثابـت بالكتـاب والسـنة والإجمـاع ولو كانـوا كفـارًا لكانوا مرتديـن يقتلـون، ولـم يـأت الشـرع بقتلهـم فـدل على بقـاء الإيمـان معهم وقد ارتكبـوا هـذه الكبائر.

٤- ولأن الله تعالى أثبت الأخوة الإيمانية للمسلمين المقتتلين.

٥- حديـث: «الإيمـان بضـع وسـبعون شـعبة» فإنـه يـدل علـى أن الإيمـان يكمـل بكمالهـا ويزيـد بنقصهـا.

٦- وإجمـاع الصحابـة والتابعيـن لهـم بإحسـان علـى ذلـك، ودلالة علـى العقـل علـى ذلـك بداهة فـإن مـا يقبـل الزيـادة يقبـل النقصان.



## (المتن)

وَيُرَتِّبُونَ عَلَى هذَا الْأَصْلِ أَنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

مِنْهُمْ مَنْ قَامَ بِحُقُوقِ الْإِيمَانِ كُلِّهَا، فَهُوَ الْمُؤْمِنُ حَقًّا.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهَا كُلَّهَا، فَهذَا كَافِرٌ بِاللهِ تَعَالَى.

وَمِنْهُمْ مَنْ فِيهِ إِيمَانٌ وَكُفْرٌ، أَوْ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، أَوْ خَيْرٌ وَشَرٌّ، فَفِيهِ مِنْ وِلَايَةِ اللهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ لِكَرَامَتِهِ، بِحَسَبِ مَا مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَفِيهِ مِنْ عَدَاوَةِ اللهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ لِعُقُوبَةِ اللهِ، بِحَسَبِ مَا ضَيَّعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ.

## (التعليق والشرح)

يعتقد أهل الحق أن أهل القبلة هم من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، واستقبل القبلة، وصلى صلاة المسلمين، وأكل ذبيحتهم، من أتى بذلك فهو المسلم له ما لهم وعليه ما عليهم لقوله ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا»[1]، ولهذا لا يخرجون من الإسلام أحدًا بذنب «دون الشرك ونحوه من نواقض الإسلام» ما لم يتستحله بل يسمونه عاصيًا أو فاسقًا وهو عندهم كسائر المسلمين فلا يخرج من الإسلام بمعصيته

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة- باب استقبال القبلة (٣٩١)، دون قوله: «له ما لنا وعليه ما علينا».

وهـو فـي الدنيـا إن لـم يتـب مؤمـن ناقص الإيمـان أو مؤمـن بإيمانه فاسـق بكبيرتـه فليـس بكافـر ولا بمنزلـة بيـن المنزلتيـن كمـا تقولـه «الخـوارج المعتزلة».

أمـا فـي الآخـرة إن مات من غيـر توبة فهـو تحت مشـيئة الله إن شـاء غفـر لـه وأدخلـه الجنـة لأول وهلة وإن شـاء عذبه بقـدر ذنبه ثـم يخرج من النـار بشـفاعة الشـافعين أو رحمة أرحـم الراحمين ومصيره إلـى الجنة بكل حال مـا دام معه أصـل الإيمان.

التصديـق بما ثبـت من الكرامـات: فمن أصـول أهل الحـق التصديق بمـا ثبـت مـن كرامـات الأوليـاء مـا يجـري اللـه علـى أيديهـم مـن أنـواع العلـوم والمكاشـفات وأنـواع القـدرة والتأثيـرات فيعتقـدون مـا يثبت منها إجمـالًا وتفصيـلًا، وذلك:

١- لمـا فيهـا مـن الدلالة علـى كمال قـدرة اللـه تعالى ونفوذ مشـيئته فكمـا أن للـه تعالـى سـننًا وأسـبابًا تقتضـي مسـبباتها الموضوعة لها شـرعًا وقـدرًا، فـإن للـه تعالـى سـننًا أخـرى لا يقع عليهـا علـم البشـر ولا تدركها أعمالهـم وأسـبابهم منهـا آيـات الأنبيـاء عليهم الصلاة والسـلام.

٢- أن كرامـات الأوليـاء آيـات وبراهيـن علـى صحـة نبـوة الأنبيـاء فـإن كرامـات الأوليـاء لـم تقـع إلا ببركـة اتباعهـم الأنبيـاء عليهـم الصـلاة والسـلام.

٣- أن كرامات الأولياء من البشرى المعجلة في الحياة الدنيا.



## (المتن)

وَيُرَتِّبُونَ عَلَى هـذَا الْأَصْلِ الْعَظِيم، أَنَّ كَبَائِرَ الذُّنُوبِ وَصَغَائِرَهَا الَّتِي لَا تَصِلُ بِصَاحِبِهَا إِلَى الْكُفْرِ، تُنْقِصُ إِيمَانَ الْعَبْدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ دائِرَةِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَخْلُدُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وَلَا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ الْكُفْرَ كَمَا تَقُولُهُ الْخَوَارِجُ، أَوْ يُنْفُونَ عَنْهُ الْإِيمَانَ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ:

بَلْ يَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَمَعَهُ مُطْلَقُ الْإِيمَانِ، وَأَمَّا الْإِيمَانُ الْمُطْلَقُ فَيُنْفَى عَنْهُ.

وَبِهذِهِ الْأُصُولِ يَحْصُلُ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَى هـذَا الْأَصْلِ:

أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ.

وَأَنَّ التَّوْبَةَ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا.

وَأَنَّ مَنِ ارْتَدَّ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ.

وَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ.

## (التعليق والشرح)

التوبة إلى الله ﷻ: ونعتقد أن التوبة النصوح من جميع الذنوب

كبيرها وصغيرها مقبولة من كل عبد مكلف ما لم تبلغ الروح الحلقوم في حق الشخص أو تطلع الشمس من مغربها في حق الزمن.

قال ﷻ: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٩]، وقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١٧]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٨]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[١]، وفي الحديث: «حتى تطلع الشمس من مغربها»[٢].

ومن حضره الموت ولم يتب فهو ظالم لنفسه، قال ﷻ: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

إذا علم هذا فليعلم أن لهذا الظالم لنفسه إذا مات على ذنوبه من غير توبة أحوال:

أ- فإن كانت ذنوبه من الصغائر فيرجى أن يكفر ذلك بصالح الأعمال كالتوحيد، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والصلة ونحوها مما جاء به الخبر أنه تغفر به الخطايا وتكفر به الذنوب.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٦١٦٠).
(٢) رواه مسلم (٢٧٥٩).

ب- وإن كانت ذنوبه من الكبائر التي دون الشرك كالقتل، والزنا، والربا، والرشوة، والغيبة، والنميمة، ونحوها من غير استحلال لها؛ فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه على قدر ذنبه، ثم يكون مآله إلى الجنة: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ج- وإن كانت الذنوب من المكفرات المخرجة من الملة كالشرك الأكبر، واستحلال ما عُلِمَ بالضرورة من الشرع تحريمه، وجحد ما عَلِمَ من الشرع وجوبه، والسحر، والاستهزاء بالله، ورسوله، ودينه، ونحو ذلك فهذه ذنوب مُكَفِّرة تحبط العمل وتمنع مغفرة الله ﷻ، وتحرم الجنة على من وقعت منه ولم يتب ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].



## (المتن)

وَيُرَتِّبُـونَ أَيْضًا عَلَـى هذَا الْأَصْلِ صِحّةَ الاسْـتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَـانِ، فَيَصِحُّ أَنْ يَقُـولَ: أَنَـا مُؤْمِنٌ إِنْ شَـاءَ اللـهُ، لِأَنَّهُ يَرْجُـو مِنَ اللـهِ تَعَالَى تَكْمِيـلَ إِيمَانِهِ فَيَسْـتَثْنِيَ لِذَلِـكَ، وَيَرْجُـو الثَّبَاتَ عَلَـى ذَلِكَ إِلَـى الْمَمَاتِ فَيَسْـتَثْنِي، مِنْ غَيْرِ شَـكٍّ مِنْهُ بِحُصُولِ أَصْـلِ الْإِيمَانِ.

وَيُرَتِّبُـونَ أَيْضًـا عَلَى هـذَا الْأَصْلِ أَنَّ الحُـبَّ والْبُغْضَ أَصْلُـه وَمِقْدَارُه، تَابِـعٌ لِلْإِيمَانِ وجُـودًا وَعَدَمًا، وَتَكْميـلًا وَنقْصًا.

ثُـمَّ يَتْبَـعُ ذَلِـكَ الْوِلَايَـةُ وَالْعَـدَاوَةُ، وَلِهَذَا مِـنَ الْإِيمَانِ: الْحُـبُّ فِي اللهِ والْبُغْـضُ فِي اللـهِ، والْوِلَايَـةُ للهِ والْعَـدَاوَةُ للهِ.

## (التعليق والشرح)

ومـن أصـول الإيمـان نهـي أهـل الحـق عـن مجالسـة أهـل الأهـواء نهيًـا شـديدًا لمـا في مجالسـتهم من مخالفـة أمر اللـه ولأنها سـبب الانقياد لأهـل الضـلال وتعظيمهـم وحبتهـم ومتابعتهـم علـى باطلهم وفتنـة الناس بهـم وتكثيـر سـوادهم وإيثـار مـا هـم عليـه، قـال تعالـى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعـام: ٦٨][(١)].

(١) ينظر: الفوائد السنية (٢١- ٣٩)، والمنحة الإلهية، ومعجم التوحيد، وموسوعة العقيدة والأديان، والفرق والمذاهب المعاصرة، الجزء الرابع، ومذكرة التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله.



## (المتن)

وَيَتَرَتَّبُ عَلَى الْإِيمَانِ وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِأَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.

وَيَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا مَحَبَّةُ اجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَثُّ عَلَى التَّآلُفِ والتَّحَابُبِ، وَعَدَمِ التَّقَاطُعِ.

## (التعليق والشرح)

الاجتماع والوحدة والائتلاف: وهذا هو ما دعى الله إليه عباده بقوله: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال: «من ترك الطاعة وفارق الجماعة ثم مات فقد مات ميتة جاهلية»[١]، وقال: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»[٢].

وقد اقتفى السلف نصوص الكتاب والسنة، فكانوا مجتمعين على اعتقاد واحد وهو ما كان عليه رسول الله وأصحابه، ينقله سلفهم إلى خلفهم لا يختلفون فيه أبدًا.

وإنما سمو جماعة لاجتماعهم على الحق علمًا وعملًا، فكان

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٢٨٧).

اشـتقاق الجماعـة عـن اجتماعهـم.

قـال ابن عبـاس ﷺ: «دخل في هـذه الآية كل محدث فـي الدين وكل مبتـدع إلى يوم القيامـة»[١]. (نقله عنـه الإمام البغوي ﷺ)، وقـال ابن عباس أَيْضًـا: «لا تجالس أهـل الأهواء فإن مجالسـتهم ممرضة للقلوب»[٢].

وقـال ابـن جريـر ﷺ: «فـي هـذه الآيـة الدلالـة الواضحة علـى النهي عـن مجالسـة أهل الباطـل من كل نوع مـن المبتدعة والفسـقة عند خوضهم فـي باطلهم»[٣].

---

(١) تفسير البغوي (١/ ٧١٤).
(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٤٣٨).
(٣) تفسير الطبري (٩/ ٣٢١).

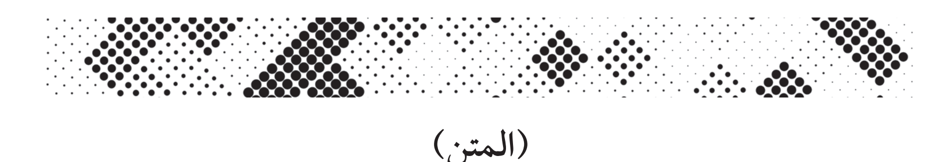


## (المتن)

وَيَبْرَأُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ التَّعَصُّبَاتِ وَالتَّفَرُّقِ وَالتَّبَاغُضِ. وَيَرَوْنَ هذِهِ الْقَاعِدَةَ مِنْ أَهَمِّ قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَرَوْنَ الاخْتِلَافَ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي لَا تُوصِلُ إِلَى كُفْرٍ أَوْ بِدْعَةٍ مُوجِبَةً لِلتَّفَرُّقِ.

## (التعليق والشرح)

فمن أصول الإيمان النهي عن الجدال والخصومات في الدين؛ لأنه من أسباب الاختلاف وتحزيب الأمة وهو من الأمور التي هلكت بها الأمم السابقة، ومن أسباب وعلامات الضلال والهلكة لمن وقع فيه من هذه الأمم لما في سنن الترمذي وغيره من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل في الدين»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ [الزخرف: ٥٨].



(المتن)

وَيَتَرَتَّبُ عَلَى الْإِيمَانِ مَحَبَّةُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ، وَأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ والسَّوَابِقِ وَالْمَنَاقِبِ مَا فَضَلُوا فِيهِ سَائِرَ الْأُمَّةِ.

(التعليق والشرح)

ونقر بالفضل لأصحاب محمد ﷺ، وما جاءت به النصوص من فضائلهم لما لهم من السبق للإسلام والهجرة، والإيواء والنصر، ومفارقة الأهل، والأوطان وبذل الأنفس والأموال من أجل مرضاة ربهم ونصرة دين نبيهم، وهم أعلم الأمة بكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ؛ لأنهم حضروا التنزيل، وشاهدوا الرسول ﷺ وعملوا بحضرته.

فما وافق ما جاء به أقرهم عليه، وما خالفه أنكره عليه، ودلهم على الصواب بشأنه.

فكل عقيدة أو عبادة لم يكونوا عليها، فليست من دين الله، والخير كله في اتباعه، والشر كله في مخالفتهم قال ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ

ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وحيث أنهم أعلم الأمة بدين الله، وأشدهم تمسكًا به، وعداوة لمن خالفهم، وهم خلفاء النبي ﷺ في أمته.

فقد زكاهم الله، وأثنى عليهم بجميل الصفات، وجليل الأعمال الصالحات، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال:٧٢]، وأخبر برضاه عنهم ووعدهم الجنة وما فيها من النعيم المقيم، وأصناف التكريم، وبالمقابل حذر من سبهم والطعن فيهم، وبَيَّن أن ذلك ليس من أخلاق المؤمنين، ولا يصدر عن المسلمين، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠].

فمن كان في قلبه غلٌّ على أحد منهم، أو وقع في سب أحد منهم؛ فليس من التابعين للمهاجرين، والأنصار بإحسان؛ وليس من اللاحقين الداعين بالمغفرة، والرحمة للسلف الماضين؛ بل هو من المعاندين الفجار.

قال ﷻ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ

﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، فلا يبغض أصحاب النبي ﷺ ولا يغتاظ منهم إلا من ظاهره الكفر، كما في الآية، نعوذ بالله من الخذلان.

ونتبرأ ممن سبهم رضي الله عنهم، أو شتمهم ومن سب أم المؤمنين؛ فليست بأم له، وليس من أخوة المؤمنين.

ونرتب الخلفاء الراشدين المهديين الأربعة في الفضل على ترتيبهم في الخلافة، وهذا الذي استقر عليه اتفاق السلف الصالح، أبو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم أجمعين.

ونعتقد أن اتفاقهم في مسائل الدين حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة.

وندين بمعنى ما يروى عن المعصوم ﷺ: «أصحابي كالنجوم»[1]، وكذلك ما ثبت عنه ﷺ: «لا تسبوا أصحابي»[2] وكذلك بقوله ﷺ: وكذلك بقوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي..»[3] الحديث.

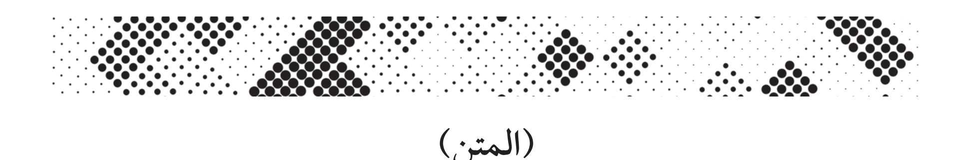
ونعتقد أنهم رضي الله عنهم أهل الإيمان، وخير أتباع الأنبياء والمرسلين على الإطلاق، وأفضل قرون الأمة بالاتفاق.

---

(١) رواه الآجري في الشريعة (١١٦٦)، وابن بطة في الإبانة (٧٠٢).
(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).
(٣) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٧١٤٤).

فمـن لعنهـم أو سـبهم أو كَفَّرهـم فإنهـا ترجـع عليـه لقولـه ﷺ: «لا يرمـي رجـل رجلًا بالفسـق، أو الكفـر إلا ارتـدت عليه، إن لـم يكن صاحبه كذلك»[1].

(١) رواه البخاري (٦٠٤٥)، ومسلم (٦١).



## (المتن)

وَيَدِينُونَ بِمَحَبَّتِهِمْ وَنَشْرِ فَضَائِلِهِمْ، وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَوْلَى الْأُمَّةِ بِكُلِّ خَصْلَةٍ حَمِيدَةٍ، وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

## (التعليق والشرح)

محبة أصحاب رسول الله ﷺ وموالاتهم والترضي عنهم والثناء عليهم والاستغفار لهم واتباعهم على ما كانوا عليه من السُنة والهدي.

الإمساك عما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم من الاختلاف والاقتتال واعتقاد بأنهم مجتهدون مأجورون فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد وخطؤه مغفور وذلك لسبقهم إلى الإسلام ومنزلتهم من النبي ﷺ وما جاءت به النصوص من ذكر فضلهم وفضائلهم والواجب نحوهم ولذلك يتقرب أهل الحق إلى الله تعالى بشأن ما جرى من الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم بأمرين:

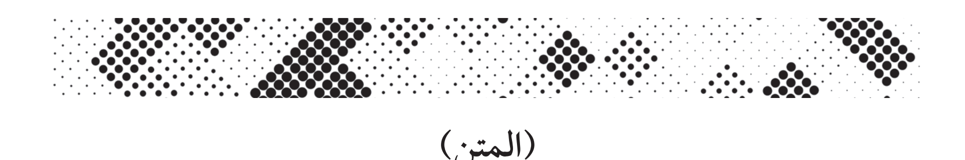
الأول: سلامة قلوبهم من الغل والحقد والبغض لأحد الصحابة رضي الله عنهم.

الثاني: سلامة ألسنتهم من الطعن فيهم واللعن والسب لهم.

وذلك طمعًا في الدخول فيمن أثنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ويقولون -بلسان الحال والمقال- مغتبطين بالعافية من شهود ما جرى بينهم ما عبر به أحد السلف قائلًا: «تلك دماء وأشلاء طهر الله منها أيدينا فلا نلوث بها ألسنتا»[(١)]، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٤)، عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله.



## (المتن)

وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْ إِمَامٍ يُقِيمُ لَهَا دِينَهَا وَدُنْيَاهَا، وَيَدْفَعُ عَنْهَا عَادِيَةَ الْمُعْتَدِينَ، وَلَا تَتِمُّ إِمَامَتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى.

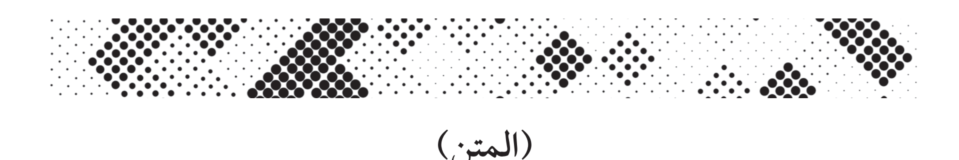
## (التعليق والشرح)

من أهم أمور الجهاد الولاية العامة: ويرون إقامة الحج والجهاد مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا لما في إقامة هذه الشعائر مع الولادة من العمل بالكتاب والسُنة والتأسي الحسن بالسلف الصالح من الأمة ولما في لك من الأثر الصالح على الأمة وإغاظة العدو ومباينة أهل الأهواء إلى غير ذلك من الأمور التي تربو مصلحتها على مفسدة المخالفة فيها، بل إن الفتنة في التخلف والمخالفة أكبر والشر أعظم.

وإقامة الشعائر الدينية كالجُمُعة والجماعة والأعياد والحج مع عامة المسلمين وراء الأمراء أو نوابهم أبرارًا كانوا أو فجارًا وترك التخلف عن تلك الشعائر بحجة فسق من يؤم الناس فيها فإن اعتقاد هذه الشعائر لا تقام إلا وراء إمام معصوم من عقائد أهل البدع وأشباههم من أهل الأهواء.

فلابـد من إعطـاء ولاة أمـور المسـلمين حقوقهم -ولو مـع بغضهم- وإن جـاروا وإن ظلمـوا عمـلًا بمـا دل عليـه الكتـاب والسـنة وكان عليـه السـلف الصالـح مـن الأمة من السـمع والطاعـة لهم فـي غير معصيـة الله، والنصيحـة لهـم، وتـرك سـبهم وعيبهـم فـي المجالـس والتحريـش عليهم والدعـاء لهم.

والصبـر على جورهـم عملًا بقولـه ﷺ: «أعطوهم الذي لهم واسـألوا اللـه الـذي لكم، فإن الله سـائلهم عما اسـترعاهم».



## (المتن)

وَيَـرَوْنَ أَنَّـهُ لَا يَتِـمُّ الْإِيمَـانُ إِلَّا بِالَأَمْرِ بالْمَعْـرُوفِ والنَّهْي عَـنِ الْمُنْكَرِ بِالْيَـدِ، وَإِلَّا بِاللِّسَـانِ، وَإِلَّا فَبالْقَلْـبِ عَلَـى حَسَـبِ مَرَاتِبِـهِ الشَّـرْعِيَّةِ، وَطُرُقِهِ الْمَرْعِيَّةِ.

## (التعليق والشرح)

طريقـة أهـل الحـق فـي الأمـر والنهـي واعتدالهـم فيهمـا: يأمـر أهل الحـق بالمعـروف وينهـون عـن المنكـر - أنفسـهم وغيرهم على مـا توجبه الشـريعة، باليـد واللسـان ثـم القلـب فيقومـون بهـذا الواجـب ويوصون به غيرهـم حسـب الاسـتطاعة ويراعـون جلـب المصالـح ودفـع المفاسـد وغيـر ذلـك مـن القواعد الشـرعية مخالفين بذلـك أهل الأهـواء كالخوارج والمعتزلـة ونحوهـم ممـن يجعلـون مـن الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر وسـيلة للفتنـة وتفريق الأمـة والخروج علـى الولاة وغيـر ذلك مما تمليـه الأهـواء المضلة.

فمـن أصـول الإيمـان القيـام والوصية بمـا تقتضيـه الأخـوة الإيمانية مـن النصيحـة لأئمـة المسـلمين وعامتهـم والتعـاون علـى البـر والتقـوى، والتناهـي عـن الإثـم والعـدوان، والتواصـي بالصبـر والتـواد والتراحـم

والتعاطف وغير ذلك من حقوق المسلمين بعضهم على بعض عملًا بالآيات والأحاديث والآثار الثابتة عن السلف الصالح في هذا الشأن.

وتثبيت الأمة في سائر الأحوال بالأمر بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضاء بمر القضاء لما يثمره ذلك من عظم المثوبة وحلو العاقبة وكشف الكربة وشكر النعمة وثبات الإيمان ودرء الفتنة.



(المتن)

وَبالْجُمْلَـةِ، فَيَـرَوْنَ الْقِيَامَ بِكُلِّ الْأُصُولِ الشَّـرْعِيَّةِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّـرْعِيِّ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَـانِ وَالدِّينِ.

وَمِنْ تَمَامِ هذَا الْأَصْلِ طَرِيقُهُم في العِلْمِ والعَمَلِ.

## الْأَصْلُ الْخَامِسُ

## طَرِيقُهُمْ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ

وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ السُّـنَّةِ وَالْجَماعَـةِ، يَعْتَقِدُونَ وَيلْتَزِمُـونَ أَنْ لَا طَرِيقَ إِلَى اللـهِ وَإِلَى كَرَامَتِـهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ النَّافِـعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَالْعِلْـمُ النَّافِـعُ هُـوَ مَـا جَاءَ بِـهِ الرَّسُـولُ مِـنْ كِتَابِ اللهِ وسُـنَّةِ رَسُـولِهِ صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، فَيَجْتَهِـدُونَ فِـي مَعْرِفَـةِ مَعَانِيهَـا وَالتَّفَقُّـهِ فِيهَـا، أُصُـولًا وَفُرُوعًـا.

وَيَسْـلُكُونَ جَمِيـعَ طُـرُقِ الـدِّلَالَاتِ فِيهَـا، دِلَالَـةِ الْمُطَابَقَـةِ، وَدِلَالَـةِ التَّضمُّـنِ، وَدِلَالَـةِ الالْتِـزَامِ.

وَيَبْذُلُـونَ قُوَاهُـمْ فِي إِدْرَاكِ ذَلِكَ بِحَسَـبِ مَـا أَعْطَاهُمُ اللـهُ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ هـذِهِ هِـيَ الْعُلُـومُ النَّافِعَـةُ، هِيَوَمَـا تَفَـرَّعَ عَلَيْهَـا مِـنْ أَقْيِسَـةٍ صَحِيحَـةٍ وَمُنَاسَـبَاتٍ حُكْمِيَّـةٍ.

وَكُلُّ عِلْمٍ أَعَانَ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ وَازَرَهُ أَوْ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ عِلْمٌ شَرْعِيٌّ. كَمَا أَنَّ مَا ضَادَّهُ وَنَاقَضَهُ فَهُوَ عِلْمٌ بَاطِلٌ. فَهذَا طَرِيقُهُمْ فِي الْعِلْمِ.

وَأَمَّا طَرِيقُهُمْ فِي الْعَمَلِ، فَإِنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالتَّصْدِيقِ وَالاعْتِرَافِ التَّامِ بِعَقَائِدِ الْإِيمَانِ، الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْعِبَادَاتِ وَأَسَاسُهَا، ثُمَّ يَتَقَرَّبُونَ له بِأَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِحَقِّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ مَعَ الْإِكْثَارِ مِنَ النَّوَافِلِ، وَبِتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ تَعَبُّدًا للهِ تَعَالَى.

## (التعليق والشرح)

فحقيقة التوحيد: انجذاب القلب والروح إلى الله ﷻ محبة وتعظيمًا وخوفًا وإنابةً وخضوعًا، بأن يعمل العبد لله تعالى صالحًا فيفعل المأمورات ما استطاع، ويترك المنهيات ويتوب إلى الله من السيئات توبةً نصوحًا، رغبةً ورجاءً ورهبةً وخوفًا وطمعًا، وهو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله ومقتضاها، وأول الواجبات وأهم المهمات، وشرط قبول العمل، وأثقل شيء في الميزان.



## (المتن)

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا كُلَّ عَمَلٍ خَالِصٍ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، مَسْلُوكًا فِيهِ طَرِيقَ النَّبِيِّ الكَرِيمِ، وَيَسْتَعِينُونَ باللهِ تَعَالَى فِي سُلُوكِ هذِهِ الطُّرُقِ النَّافِعَةِ، الَّتِي هِيَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ الْمُوصِلُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَفَلَاحٍ وَسَعَادَةٍ عَاجِلَةٍ وآجِلَةٍ.

## (التعليق والشرح)

تحقيق ذلك بامتثال أوامره سبحانه، واجتناب نواهيه على الوجه الذي شرع، وعلى الكيفية المأثورة عن النبي ﷺ عن إخلاص، وبراءة من الشرك والبدع ابتغاء رضوان الله تعالى وثوابه، وحذرًا من غضبه وعقابه.

شروط قبول العمل: نعتقد أن العمل لا يقبل إلا باجتماع أمور ثلاثة فيها:

الأول: أن يكون مما شرع الله أصله في كتابه وسنة نبيه ﷺ وهذا تحقيق الرضا بالإسلام دينًا.

الثاني: أن يؤدي مقصودًا به وجه الله ﷻ، وهذا تحقيق الرضا بالله ربًا.

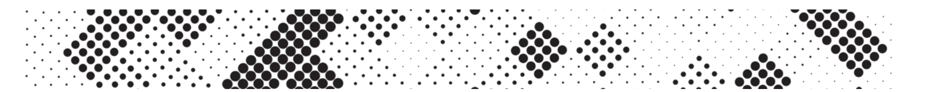
الثالث: أن يكون في كيفيته متبعًا به المصطفى ﷺ وهذا تحقيق

الرضا بالنبي ﷺ نبيًا ورسولًا.

فمن رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًا ورسولًا ثبته الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكان حقًا على الله أن يرضيه.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.



# فهرس الموضوعات

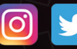
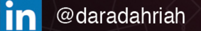
هـذا مختصـر جـدا في أصـول العقائـد الدينيـة، والأصـول الكبيـرة المهمـة. اقتصرنـا فيهـا علـى مجـرد الإشـارة والتنبيـه، مـن غيـر بسـطٍ للكلام ولا ذكـر أدلتهـا، أقـرب مـا يكـون لهـا أنهـا مـن نـوع الفهرسـت للمسـائل؛ لتعرف أصولها ومقامها ومحلها من الدين.

ثـم مـن لـه رغبـة في العلـم يتطلـب بسـطها، وبراهينهـا مـن أماكنهـا، وإن يسـر اللّه، وفسـح في الأجل، بسـطت هـذه المطالـب، ووضحتهـا بأدلتهـا.

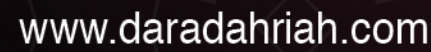






 daradahriah@gmail.com